

نزار قباني



الْحُبُّ
لَا يَقِفُ
عَلَى
الضَّوءِ
الْأَحْمَرِ

نوفل

نزار قباني

الحبّ لا يقف
على الضوء
الأحمر



جميع الحقوق محفوظة.

صدرت عام 2015 عن نوفل، دمغة الناشر هاشيت أنطوان

© هاشيت أنطوان ش.م.ل.، 2015

سنّ الفيل، حرج ثابت، بناية فورست

ص. ب. 11-0656، رياض الصلح، 1107 2050 بيروت، لبنان

info@hachette-antoine.com

www.hachette-antoine.com

facebook.com/HachetteAntoine twitter.com/NaufalBooks

لا يجوز نسخ أو استعمال أيّ جزء من هذا الكتاب في أيّ شكل من الأشكال أو بأيّ وسيلة من الوسائل – سواء التصويرية أو الإلكترونية أو الميكانيكية، بما في ذلك النسخ الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو سواها وحفظ المعلومات أو استرجاعها – من دون الحصول على إذن خطي مسبق من الناشر.

تصميم الغلاف والداخل: بسكال زغبى

اقتباس التصميم: ماري تيريز مرعب

متابعة النشر: نجلا رعيدي شاهين

ر.د.م.ك. (النسخة الورقية): 1-906-26-9953-978

ر.د.م.ك. (النسخة الإلكترونية): 6-459-438-614-978

"أنت في العشرين تستطيع أن تُحبّ..
وأنت في الثمانين تستطيع أن تُحبّ..
هناك دائمًا مناسبة لاشتعال البرق.."

فرانسواز ساغان

إفتتاحية

هذا كتابي الأربعون.. ولم أرل
أحبو كتلميذ صغير.. في هَواك
هذا كتابي الأربعون..
ورغم كل شطارتي.. ومهارتي
لم يرض عني ناهداك..
كل اللغات قديمة جداً..
وأصيق من رؤاي ومن رؤاك..
لا بد من لغة أفصلها عليك.. حبيبتي..
لا بد من لغة تليق بمستواك..

•

حلقت آلاف السنين.. وما وصلت إلى ذراك
وجلبت تيجان الملوك..
وما حصلت على رضاك..
وصعدت فوق الأبدية كي أراك..
يا مَنْ تخط قصائدي ثوباً لها..
هل ممكن بين القصيدة.. والقصيدة..
أن أراك؟؟.

القرار

إِنِّي عَشِيقُكَ.. وَاتَّخَذْتُ قَرَارِي
فَلِمَنْ أُقَدِّمُ - يَا ثَرَى - أَعْذَارِي

لا سلطةً في الحُبِّ.. تعلو سُلْطَتِي
فالرأي رأيي.. والخيارُ خيارِي

هذي أحاسيسي.. فلا تتدخّلي
أرجوكِ، بين البَحْرِ والبَحَّارِ..

ظَلَّيْ عَلَى أَرْضِ الْحَيَادِ.. فَإِنِّي
سَأَزِيدُ إِصْرَارًا عَلَى إِصْرَارِ

ماذا أخافُ؟ أنا الشرائعُ كُلُّهَا
وَأنا المحيطُ.. وَأنتِ من أنْهَارِي

وَأنا النساءُ، جَعَلْنَهُنَّ خَوَاتِمًا
بأصابعي.. وكواكبًا بِمَدَارِي

خَلِّيكِ صَامِتَةً.. وَلَا تَتَكَلَّمِي
فَأَنَا أَدِيرُ مَعَ النِّسَاءِ حِوَارِي

وَأَنَا الَّذِي أُعْطِيَ مِرَاسِيمَ الْهَوَى
لِلوَاقِفَاتِ أَمَامَ بَابِ مَرَّارِي

وَأَنَا أُرْتَبُّ دَوْلَتِي.. وَخَرَائِطِي
وَأَنَا الَّذِي اخْتَارَ لَوْنَ بَحَارِي

وَأَنَا أَقَرُّ مَنْ سِيدُ خُلِّ جَنَّتِي
وَأَنَا أَقَرُّ مَنْ سِيدُ خُلِّ نَارِي

أَنَا فِي الْهَوَى مُتَحَكِّمٌ.. مُتَسَلِّطٌ
فِي كُلِّ عِشْقٍ تَكْهَهُ اسْتِعْمَارِ

فَاسْتَسْلِمِي لِإِرَادَتِي وَمَشِيئَتِي
وَاسْتَقْبِلِي بِطُفُولَةٍ أَمْطَارِي..

إِنْ كَانَ عِنْدِي مَا أَقُولُ.. فَأَنْتِي
سَأَقُولُهُ لِلوَاحِدِ الْقَهَّارِ..

•

عَيْنَاكَ وَحَدَهُمَا هُمَا شَرَّ عَيْنِي
ومراكبي، وصديقًا أسقاري

إِنْ كَانَ لِي وَطَنٌ.. فَوْجُهُكَ مَوْطِنِي
أَوْ كَانَ لِي دَارٌ.. فَحُبُّكَ دَارِي

مَنْ ذَا يُحَاسِبُنِي عَلَيْكَ.. وَأَنْتِ لِي
هَبَّةُ السَّمَاءِ.. وَنِعْمَةُ الْأَقْدَارِ؟

مَنْ ذَا يُحَاسِبُنِي عَلَى مَا فِي دَمِي
مِنْ لَوْلُؤٍ.. وَزُمُرْدٍ.. وَمَحَارٍ؟

أَيْنَاقِشُونَ الدِيكَ فِي أَلْوَانِهِ؟
وَشَقَائِقَ النُّعْمَانِ فِي تَوَارٍ؟

•

يا أنتِ.. يا سُلْطَاتِي، ومليكتي
يا كوكبي البحريّ.. يا عَشَّتاري

إِنِّي أُحِبُّكِ.. دُونَ أَيِّ تَحْقُطٍ
وأعيشُ فيكِ ولادتي.. ودَمَاري

إِنِّي اقْتَرَفْتُكِ.. عامدًا مُتَعَمِّدًا
إِنْ كُنْتَ عَارًا.. يا لروعةِ عاري

ماذا أخافُ؟ وَمَنْ أخافُ؟ أنا الذي
نامَ الزمانُ على صدى أوتاري

وأنا مفاتيحُ القصيدةِ في يدي
من قبلَ بَشَّارٍ.. ومن مِهْيَارٍ

وأنا جعلتُ الشَّعْرَ حُبْرًا ساخنًا
وجعلتُهُ ثَمَرًا على الأشجارِ

سافرْتُ في بَحْرِ النساءِ.. ولم أزلْ
- من يومِها - مقطوعةً أخباري..

•

يا غابةً تمشي على أقدامها
وترشني بقرنفل وبهار

شفتاك تشتعلان مثل فضيحة
والناهدان بحالة استنفار

وعلاقتي بهما تطل حميمه
كعلاقة الثوار بالثوار..

فتشرفي بهوائ كل دقيقة
وتباركي بجدولي وبداري

أنا جيد جدًا.. إذا أحببتني
فتعلمي أن تفهمي أطواري..

•

مَنْ ذَا يُقَاضِينِي؟ وَأَنْتِ قَضَيْتِي
ورفيفُ أحلامي، وضوءُ تَهَارِي

مَنْ ذَا يَهْدِدُنِي؟ وَأَنْتِ حَصَّارْتِي
وثَّقَافَتِي، وكتَّابِي، ومَتَّارِي..

إِنِّي اسْتَقَلْتُ مِنَ الْقِبَائِلِ كُلِّهَا
وتركتُ خلفي حَيَمَتِي وَعُتَّارِي

هُمْ يَرْفُضُونَ طُفُولَتِي.. وَتُبُوءَتِي
وأنا رفضتُ مدائنَ الْفُجَّارِ..

كُلُّ الْقِبَائِلِ لَا تَرِيدُ نِسَاءَهَا
أَنْ يَكْتَشِفَنَّ الْحَبَّ فِي أَشْعَارِي..

كُلُّ السُّلَاطِينِ الَّذِينَ عَرَفْتُهُمْ..
قَطَعُوا يَدَيَّ، وَصَادَرُوا أَشْعَارِي

لَكِنِّي قَاتَلْتُهُمْ.. وَقَتَلْتُهُمْ
ومررتُ بالتاريخ كالإِعْصَارِ..

أَسَقَطْتُ بِالْكَلِمَاتِ أَلْفَ خَلِيفَةٍ
وَحَفَرْتُ بِالْكَلِمَاتِ أَلْفَ جِدَارٍ..

أَصْغِيرْتِي.. إِنَّ السَّفِينَةَ أَبْحَرَتْ
فَتَكْوَّمِي كَحَمَامَةٍ بِجَوَارِي

مَا عَادَ يَنْفَعُكَ الْبُكَاءُ وَلَا الْأَسَى
فَلَقَدْ عَشِيقُكَ.. وَاتَّخَذْتُ قَرَارِي..

٢٥ آذار (مارس) ١٩٨٣

مَعَهَا.. في باريس

لا الشِعْرُ، يُرْضِي طُمُوحَاتِي، ولا الْوَتَرُ
إِنِّي لِعَيْنَيْكَ، بِاسْمِ الشِعْرِ، أَعْتَذِرُ..

حاولتُ وَصْفَكَ، فَاسْتَعَصَى الْخِيَالُ مَعِي
يَا مَنْ تَدُوخُ عَلَى أَقْدَامِكَ الصُّورُ

يُرَوِّجُونَ كَلَامًا لَا أَصَدِّقُهُ
هل بين تَهْدِيكَ، حَقًّا، يَسْكُنُ الْقَمَرُ؟؟

كم صَعْبُهُ أَنْتِ.. تَصُوبِرًا وَتَهْجِيَةً
إِذَا لَمَسْتُكَ، يَبْكِي فِي يَدِي الْحَجَرُ

مَنْ أَنْتِ؟. مَنْ أَنْتِ؟. لا الأَسْمَاءُ تُسْعِفُنِي
ولا الْبَصِيرَةُ، تَكْفِينِي، ولا الْبَصَرُ

تَهْدَاكِ.. كَانَ بُوْدِّي لَوْ رَسَمْتُهُمَا
إِذَا قَبِلْتُ.. فَحَسْبِي أَنْتِي بَشَرُ

أيا عَمَامَةَ مُوسِيقَى.. تُظَلِّلُنِي
كذا يُتَقَطُّ فوق الجَنَّةِ المَطَرُ

الحَرْفُ يبدأ من عَيْنَيْكَ رَحْلَتَهُ
كُلُّ اللُّغَاتِ بلا عَيْنَيْكَ.. تَنْدَثِرُ

يا مَنْ أُحِبُّكَ، حَتَّى يَسْتَحِيلَ دمي
إلى نَبِيذٍ، بنار العِشْقِ يَخْتَمِرُ

يُسَافِرُ الحُبُّ مِثْلَ السِّيفِ في جَسَدِي
ولم أَحْطَطْ لَهُ.. لَكِنَّهُ القَدَرُ..

هزائمي في الهوى تبدو مُعْطَرَةً
إِنِّي بِحُبِّكَ مهزومٌ.. مُنْتَصِرٌ

تركتُ خَلْفِي أمْجَادي.. وها أنذا
بطُولِ شَعْرِكَ - حَتَّى الحَصْرِ - أَفْتَحِرُ

ماذا يَكُونُ الهوى إِلَّا مُخَاطَرَةً
وَأَنْتِ.. أَجْمَلُ ما في حُبِّكَ الحَظَرُ

يا مَنْ أُحِبُّكَ.. حَتَّى يَسْتَحِيلَ فمي
إلى حِداثٍ فيها الماءُ والتَّمَرُ..

جزائر الكُحْلِ في عَيْنَيْكَ مُدْهِشَةٌ
ماذا سأفعلُ لو ناداني السَّفَرُ؟

•

سمراء.. إِنَّ حَقُولَ التَّيْغِ مُقْمِرَةٌ
وُلُؤُ الْبَحْرِ شَفَّافٌ.. وَمُبْتَكَّرٌ

هل تذكرين بباريسِ تَسْكُغُنَا؟
تمشينَ أنتِ.. فيمشي حَلَقُكَ الشَّجَرُ

حُطَاكِ في ساحة (الفاندوم) أُغْنِيَهُ
وَكُحْلُ عَيْنِيكَ في (المادلين) يَنْتَثِرُ..

صَدِيقَةُ المَطْعَمِ الصِّينِيِّ.. مقعدُنا
ماذا في رُكْنِنَا الشعريِّ، ينتظرُ

كلُّ التماثيل في باريسَ تعرفُنا
وباعَةُ الوردِ، والأكشاكُ، والمَطَرُ

حتَّى النوافيرُ في (الكونكورد) تذكُرُنا
ما كنتُ أعرفُ أَنَّ المَاءَ يَفْتَكِرُ..

•

نبيذُ بُوردو.. الذي أحسّوه يصرّعُني
ودفءُ صوتِكِ.. لا يُبقي ولا يدّر

ما دُمّت لي.. فحدودُ الشمسِ مملكتي
والبرّ، والبحرُ، والشيطانُ، والجُرُ

ما دامَ حُبُّكِ يُعطيني عباءتهُ
فكيفَ لا أفتحُ الدنيا.. وأنتصرُ؟

سأركبُ البحرَ.. مَجْنُونًا وَمُنْتَحِرًا..
والعاشقُ الفدُّ.. يحيا حين ينتحرُ..

مِنْ يَوْمِيَّاتِ تَلْمِيذِ رَاسِبٍ

١

ما هُوَ المطلوبُ مِنِّي؟
ما هُوَ المطلوبُ بالتحديد مِنِّي؟
إِنِّي أَتَقَفْتُ فِي مَدْرَسَةِ الْحُبِّ حَيَاتِي
وَطَوَالَ اللَّيْلِ.. طَالَعْتُ.. وَذَاكِرْتُ..
وَأَنْهَيْتُ جَمِيعَ الْوَاجِبَاتِ..
كُلُّ مَا يُمْكِنُ أَنْ أَفْعَلَهُ فِي مَخْدَعِ الْحُبِّ
فَعَلْتُهُ..
كُلُّ مَا يُمْكِنُ أَنْ أَحْفَرَهُ فِي حَشَبِ الْوَرْدِ،
حَفَرْتُهُ..
كُلُّ مَا يُمْكِنُ أَنْ أَرْسُمَهُ..
مِنْ حُرُوفٍ.. وَنَقَاطٍ.. وَدَوَائِرٍ..
فَلِمَاذَا امْتَلَأْتُ كَرَّاسَتِي بِالْعَلَامَاتِ الرَّدِيئَةِ؟
وَلِمَاذَا تَسْتَهِينِينَ بِتَارِيخِي..
وَقُدْرَاتِي.. وَفَنِّي..
أَنَا لَا أَفْهَمُ حَتَّى الْآنَ، يَا سَيِّدَتِي
ما هُوَ المطلوبُ مِنِّي؟..

٢

ما هُوَ المطلوبُ مِنِّي؟
يشهد اللهُ بأنِّي..
قد تَفَرَّغْتُ لنَهْدِيكَ تَمَامًا..
وَتَصَرَّفْتُ كَفَنَانٍ بِدَائِي..
فَأَتَهَكَّتُ.. وَأَوْجَعْتُ الرُّحَامَا
إِنِّي مِنْهُ عَصُورِ الرِّقِّ.. مَا نِلْتُ إِجَارَهُ
فَأَنَا أَعْمَلُ تَحَاثًا بَلَا أَجْرِ لَدَى تَهْدِيكَ
مُدُّ كُنْتُ غُلَامًا..
أَحْمَلُ الرَّمْلَ عَلَى ظَهْرِي..
وَأُلْقِيهِ بِبَحْرِ اللَّانْهَائَةِ
أَنَا مِنْذُ السَّنَةِ الْأَلْفَيْنِ قَبْلَ النَهْدِ..
- يَا سَيِّدَتِي - أَفْعَلُ هَذَا..
فلماذا؟
تطلبينَ الآنَ أنْ أبدأَ - يَا سَيِّدَتِي - مِنْذُ الْبَدَايَةِ
ولماذا أُطْعَمُ الْيَوْمَ بِإِبْدَاعِي..
وتشكيلاتٍ فَنِّي؟
ليتني أَعْرِفُ مَاذَا..
يبتغي التَّهْدَانِ مِنِّي؟؟

٣

ما هُوَ المطلوبُ مِنِّي؟
كي أكونَ الرَّجُلَ الْأَوَّلَ ما بينَ رَجَالِكُ
وأكونَ الرَّائِدَ الْأَوَّلَ..

والمكتشفَ الأوَّلَ..
والمستوطنَ الأوَّلَ..
في شَعْرِكَ.. أو طَيَّاتِ شَاكِكَ..
ما هو المطلوبُ حتَّى أدخلَ البحرَ..
وأستلقي على دفءِ رمالِكَ؟
إِنِّي نَقَدْتُ - حتَّى الآنَ - آلافَ الحماقاتِ لإرضاءِ خيالكِ
وأنا اسْتُشْهِدْتُ آلافاً من المَرَّاتِ
من أجلِ وصالِكَ..
يا اللّتي داخَتْ على أقدامِها
أقوى الممالِكِ..
حَرَّريني..
من جُنُوني.. وجَمالِكَ..

ع

ما هُوَ المطلوبُ مِنِّي؟
ما هُوَ المطلوبُ حتَّى قِطَّتي تصفَحَ عَنِّي؟
إِنِّي أَطْعَمْتُهَا..
قَمَحًا.. وَلَوْزًا.. وَزَبِيبًا..
وأنا قَدَّمْتُ للنَّهْدَيْنِ..
ثَغَاخًا..
وخمَرًا..
وحليبًا..
وأنا علَّقْتُ في رُقِيَّتِها..

حَرَّرَا أَرْزَقَ يَحْمِيهَا مِنَ الْعَيْنِ،

وَيَا قُوتًا عَجِيبًا..

ما الذي تطلبه القِطْعَةُ ذَاتُ الْوَبَرِ النَّاعِمِ مِنِّي؟

وَأَنَا أَجْلَسْتُهَا سُلْطَانَةً فِي مَقْعَدِي..

وَأَنَا رَافِقْتُهَا لِلْبَحْرِ يَوْمَ الْأَحَدِ..

وَأَنَا حَمَمْتُهَا كُلَّ مَسَاءٍ بِيَدِي..

فلماذا؟

بَعْدَ كُلِّ الْحُبِّ.. وَالتَّكْرِيمِ..

قَدْ عَصَّتْ يَدِي؟

ولماذا هي تدعوني حبيبًا..

وَأَنَا لَسْتُ الْحَبِيبَا..

ولماذا هي لَا تَمْحُو ذُنُوبِي؟

أَبَدًا.. وَاللَّهِ فِي عِلْيَائِهِ يَمْحُو الذُّنُوبَا..

٥

مَا هُوَ الْمَطْلُوبُ أَنْ أَفْعَلَ كِي أُغْلِنَ لِلْعَشْقِ وَلَآئِي.

مَا هُوَ الْمَطْلُوبُ أَنْ أَفْعَلَ كِي أُدَقِّنَ بَيْنَ الشُّهَدَاءِ؟

أَدْخُلُونِي فِي سَبِيلِ الْعِشْقِ مُسْتَشْفَى الْمَجَازِيبِ..

وَحَتَّى الْآنَ - يَا سَيِّدَتِي - مَا أَطْلَقُونِي..

شَتَّقُونِي - فِي سَبِيلِ الشِّعْرِ - مَرَّاتٍ.. وَمَرَّاتٍ..

وَيَبْدُو أَنَّهُمْ مَا قَتَلُونِي..

حاولوا أَنْ يَقْلَعُوا الثَّوْرَةَ مِنْ قَلْبِي.. وَأُورَاقِي..

وَيَبْدُو أَنَّهُمْ..

في داخل الثورة - يا سيّدي - قد رَرَّعُوني..

٦

يا الَّتِي حُبِّي لها..
يدخلُ في باب الخُرَافَاتِ..
وَيَسْتَنْزِفُ عُمري.. ودمايا..
لم يَعُدْ عندي هواياتُ سوى
أن أجمَعَ الكُحْلَ الحجازيَّ الذي بَعَثَتْ في كلِّ الزوايا..
لم يَعُدْ عندي اهتماماتُ سوى..
أن أطفئَ النارَ التي أشعلَها تَهْدَاكِ في قلب المرايا..
لم يَعُدْ عندي جوابٌ مُقْنِعٌ..
عندما تسألني عنكِ دُموعي.. وَيَدَايا..

٧

إشربي قَهْوَتِكَ الآنَ.. وقُولي
ما هو المطلوبُ مِنِّي؟
أنا منذُ السَّنَةِ الألفَيْنِ قَبْلَ التَّغْرِ..
فَكَرْتُ بشَعْرِكَ..
أنا منذُ السَّنَةِ الألفَيْنِ قَبْلَ الحَيْلِ..
أَجْرِي كحصانٍ حَوْلَ حَصْرِكَ..
وإذا ما ذكروا النيلَ..
تَبَاهَيْتُ أنا في طُولِ شَعْرِكَ
يا الَّتِي يأخذُني فُطْطَانُهَا المشْعُولُ بالزَّهْرِ..

إلى أرض العجائب..
يا التي تنتشر الشّامات في أطرافها
مثل الكواكب..

إنني أصرخُ كالمجنون من شدّة عِشْقِي..
فلماذا أنتِ، يا سيّدتِي، ضدّ المواهب؟
إنني أرجوكِ أن تبتسمي..
إنني أرجوكِ أن تَسْجِمِي..
أنتِ تدربينَ تمامًا..

أنّ خِبراتي جميعًا تحتَ أَمْرِكُ
ومَهَاراتي جميعًا تحتَ أَمْرِكُ
وأصابعِي التي عَمَرْتُ أَكْوانًا بها
هيَ أيضًا..
هيَ أيضًا..
هيَ أيضًا تحتَ أَمْرِكُ..

تصوير

إصْطَجعي دقيقةً واحدةً..

كي أُكْمِلَ التصويرُ..

إصْطَجعي مثلَ كتابِ الشِّعرِ في السَّريْرِ

أريدُ أنْ أَصوِّرَ الغاباتِ في ألوانِها

أريدُ أنْ أَصوِّرَ الشَّاماتِ في اطمئنائها

أريدُ أنْ أَفاجيءَ الحَلْمَةَ في مكانِها

والناهدَ الأحْمَقَ - يا سيِّدتي -

قُبَيْلَ أنْ يطيرَ..

فساعديني..

- إنْ تَكَرَّمْتَ - لَكَيَّ أَصالِحَ الحَريْرِ

وساعديني..

- إنْ تَكَرَّمْتَ - لَكَي أَفَوَرَ في صِداقةِ الكَشْمِيرِ

لَعَلَّه يَسمُحُ لي بِرِسمِ هذا الكوكبِ المُثِيرِ..

ولتَقْبَلِي تحيَّتي..

مَفْرُونةً بالخُبِّ والتَّقديرِ.

مِنَ غَيْرِ يَدَيْنِ

لم أَكُنْ مُنْتَظِرًا..
أَنْ تُقْبِلَنِي مِثْلَ رُوحِ وَثْنِيَّ
لم أَكُنْ مُنْتَظِرًا..
أَنْ تَدْخُلِي فِي لُغْتِي.. وَكَلَامِي..
وَإِشَارَاتِ يَدَيَّ
لم أَكُنْ مُنْتَظِرًا..
أَنْ تُصْبِحِي أَنْتِ الثَّقَافَةُ..
لم أَكُنْ مُنْتَظِرًا..
أَنْ أَخْسَرَ التَّاجَ.. وَحَقِّي بِالْخِلَافَةِ..
فَلَقَدْ كُنْتُ قَوِيًّا.. وَشَهِيرًا..
وَجُنُودِي يَمْلَأُونَ الْبَرَّ وَالْبَحْرَ..
وَرَايَاتِي تُعْطِي الْمُشْرِقَيْنِ
لم أَكُنْ مُنْتَظِرًا أَنْ يَحْدَثَ الزَّلْزَالُ..
أَنْ يُنْشَطِرَ الْبَحْرُ..
وَأَنْ تَكْسِرَنِي عَيْنَاكِ، يَوْمًا، قِطْعَتَيْنِ..

•

لم أَكُنْ مُنْتَظِرًا..
حِينَ قَبْلُكَ أَنْ أَنْسَى لَدَيْكَ الشَّقَاتَيْنِ

لم أَكُنْ مُتَنَظِّرًا..
حِينَ عَانَقْتُكَ.. أَنْ أَرْجِعَ مِنْ غَيْرِ يَدَيْنِ..

أيار (مايو) ١٩٨٢

التقصير

منذُ ثلاثينَ سَنَةً
أَحْلُمُ بالتغييرِ
وَأَكْتُبُ القصيدةَ الثوريةَ.. والقصيدةَ الأُزْمةَ..
والقصيدةَ الحريزَ..

•

منذُ ثلاثينَ سَنَةً
أَلْعَبُ باللُّغَاتِ مثلما أَشَاءُ
وَأَكْتُبُ التاريخَ بالشكل الذي أَشَاءُ..
وَأَجْعَلُ النقاطَ، والحروفَ، والأسماءَ، والأفعالَ،
تحت سُلْطَةِ النساءِ.
وَأَدَّعِي بِأَنِّي الأوَّلُ في قَنِّ الهوى..
وَأَنِّي الأخيرَ..

•

وعندما دخلتُ.. يا سيِّدتي
إِلَى بَلَاطِ حُبَّكِ الكبيرِ..
إِنْكَسَرَتْ فوقَ يدي قارورةُ العبيرِ
وإِنْكَسَرَ الكلامُ – يا سيِّدتي – على فمي

وانكسر التعير..

•

ولا أزال كلما سافرت في عيتك.. يا حبيتي

أشعر بالتقصير..

وكلما حدقت في يدك يا حبيتي

أشعر بالتقصير..

وكلما اقتربت من جمالك الوحشي يا حبيتي

أشعر بالتقصير..

وكلما راجعت أعمالي التي كتبتها..

قُبِلَ أن أراك يا حبيتي..

أشعر بالتقصير..

أشعر بالتقصير..

أشعر بالتقصير..

قَصِيدَةُ سِرِّيَالِيَّةٍ

١

لا أَنْتِ، يا حبيبتِي، معقولةٌ
ولا أنا معقولٌ..
هل من صفاتِ الحُبِّ..
أن يُحَطِّمَ العاديَّ، والمألوفَ، والمعقولَ؟
هل من شُرُوطِ الحُبِّ..
أن نجهلَ، يا حبيبتِي، أسماءنا؟
هل من شُرُوطِ الحُبِّ، يا حبيبتِي؟
أن لا تَرَى أماننا..
ولا تَرَى وراءنا..
هل من شُرُوطِ الحُبِّ، يا حبيبتِي؟
بأن أُسمَّى قاتلاً حينَ أنا المقتولُ..

٢

لا أَنْتِ يا حبيبتِي معقولةٌ..
ولا أنا معقولٌ
فَنَشْطَبِي - حينَ أكونُ غاضبًا
من كَلِمَاتِي، نِصْفَ ما أقولُ..

وهذبي مشاعري..
وقلّمي أظافري..
ولمّلي جميع ما أرميه من شوكٍ ومن وُحُولٍ
وصدّقيني دائماً..
حين أجيءُ حاملاً إليك يا حبيبتى
الأزهار.. والأقمار.. والفُصول..

٣

لا أنتِ يا حبيبتى معقولةٌ
ولا أنا معقولٌ..
ورغم هذا..
يستمرُّ الرُفْضُ والقَبُولُ
ورغم هذا..
يستمرُّ الضحكُ، والصراخُ، والشُرُوقُ، والأفُولُ
فما الذي تخسرُ يا حبيبتى؟
لو أنتِ قد أعطيتني يدَيْكِ
وسافرتِ يَدَايَ فوق الذهبِ المشعُورِ
وما الذي نخسرُ يا مليكتي؟
لو انطلقنا مثلَ عُصفُورَيْنِ في الحُقُولِ
وما الذي نخسرُ يا أميرتي؟
إذا طبَعَتْ قُبْلَةً في الأحمرِ الحُجُولِ..
وما الذي نخسرُ يا سبيكتي؟
إذا ارتفعنا مثلَ صُوفيٍّ إلى مرتبةِ الفَنَاءِ والحُلُولِ

وما الذي تَحْسَرُ يا حبيبتي؟
لو نحنُ صَلَّينا على الرَّسُولِ..

من يَوْمِيَّاتِ رَجُلٍ مَجْنُونٍ

١

إذا ما صَرَخْتُ:

"أُحِبُّكَ جِدًّا"

"أُحِبُّكَ جِدًّا"

فلا تُسَكِّتيني.

إذا ما أَضَعْتُ ائْزَانِي

وَطَوَّقْتُ حَصْرَكَ فوق الرصيفِ،

فلا تَنْهَريني..

إذا ما صَرَبْتُ شَبَابِيكَ تَهْدِيكَ

كالْبَرْقِ، ذاتَ مَسَاءٍ

فلا تُطْفِئيني..

إذا ما تَرَفُّتُ كَدِيكَ جَرِيحٍ على سَاعِدَيْكَ

فلا تُسْعِفيني..

إذا ما خَرَجْتُ على كُلِّ عُرْفٍ، وَكُلِّ نِظَامٍ

فلا تَقْمَعيني..

أنا الآن في لَحَظَاتِ الجُنُونِ العَظِيمِ

وسوفَ تُضِيعِينَ فُرْصَةَ عُمْرِكَ

إنْ أَنْتِ لَمْ تَسْتَعْلِي جُنُونِي.

٢

إذا ما تدفقت كالبحر فوق رمالك..
لا تُوقِفيني..
إذا ما طلبت اللجوءَ إلى كُلِّ عَيْتِكَ يومًا،
فلا تطرُديني..
إذا ما انكسرت فتافيت ضوءٍ على قَدَمِيكَ،
فلا تَسْحَقِينِي..

٣

إذا ما ارتكبتُ جريمةَ حُبٍّ..
وصبَّعَ لونُ البرونزِ المُعْتَقِ في كَتِفَيْكَ.. يقيني
إذا ما تصرّفتُ مثلَ غُلامٍ شَقِيٍّ
وعَطَّسْتُ حَلْمَةَ نهدكِ بِالْحَمْرِ..
لا تَصْرِبِينِي.
أنا الآنَ في لَحَظَاتِ الجُنُونِ الكبيرِ
وسوفَ تُضِيعِينَ فُرْصَةَ عُمْرِي،
إنْ أَنْتِ لم تَسْعِغِي جُنُونِي.

٤

إذا ما كتبتُ على وَرَقِ الوردِ،
أَتِي أَحِبُّكَ..
أرجوكِ أَنْ تقرأيني..

إذا ما رَقَدْتُ كطفلي، بغاباتِ شَعْرِكَ،
لا تُوقظيني.

إذا ما حملتُ حليبَ العصافير.. مَهْرًا
فلا تَرُقُصيني..

إذا ما بعثتُ بألفِ رسالةٍ حُبٍّ
إليكِ..

فلا تُحْرِقِها.. ولا تُحْرِقيني.

٥

إذا ما رأوكِ معي، في مقاهي المدينة يومًا،
فلا تُنْكِريني..

فكُلُّ نِسَاءِ المدينةِ يعرفُنَّ صَعْفِي أَمَامَ الْجَمَالِ..
ويعرفنَّ ما مصدرُ الشَّعْرِ والياسمينِ..
فكيفَ التَّحَفِّي؟

وأنتِ مُصَوَّرَةٌ في مياهِ عُيُونِي.
أنا الآنَ في لحظاتِ الجُنُونِ المُضِيِّ
وسوفَ تُضِيعِينَ فُرْصَةَ عُمْرِكَ،
إنْ أنتِ لم تستغلِّي جُثُونِي.

٦

إذا ما النبيذُ القَرْنُسِيُّ،
فَكَ دبابيسَ شَعْرِكَ دونَ اعتذارٍ
فحاصَرَنِي القمحُ من كُلِّ جانبٍ

وحاصَرَنِي اللَّيْلُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
وحاصَرَنِي الْبَحْرُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
وأَصْبَحْتُ أَكُلُ مِثْلَ الْمَجَانِينِ عُشْبَ الْبَرَارِيِّ..
وما عَدْتُ أَعْرِفُ أَيْنَ يَمِينِي..
وما عَدْتُ أَعْرِفُ أَيْنَ يَسَارِي؟

٧

إِذَا مَا النَّبِيذُ الْفَرَنْسِيُّ،
أَلْعَى الْفُرُوقَ الْقَدِيمَةَ بَيْنَ بَقَائِي وَبَيْنَ انْتِحَارِي
فَأَرْجُوكِ، بِاسْمِ جَمِيعِ الْمَجَازِبِ، أَنْ تَفْهَمِينِي
وَأَرْجُوكِ، حِينَ يَقُولُ النَّبِيذُ كَلَامًا عَنِ الْحُبِّ..
فَوْقَ التَّوَقُّعِ.. أَنْ تَعْذُرِينِي.
أَنَا الْآنَ فِي لَحَظَاتِ الْجُنُونِ الْبَهِيِّ
وَسَوْفَ تُضِيعِينَ فُرْصَةَ عُمرِكَ
إِنْ أَنْتِ لَمْ تَسْتَغْلِي جُنُونِي..

٨

إِذَا مَا النَّبِيذُ الْفَرَنْسِيُّ،
أَلْعَى الْوُجُوهَ،
وَأَلْعَى الْخُطُوطَ،
وَأَلْعَى الزَّوَايَا.
وَلَمْ يَبْقَ بَيْنَ النِّسَاءِ سِوَاكِ.
وَلَمْ يَبْقَ بَيْنَ الرِّجَالِ سِوَايَا.

وما عدتُ أَعْرِفُ أينَ تَكُونُ يَدَاكَ..
وأينَ تَكُونُ يَدَايَا..
وما عدتُ أَعْرِفُ كيفَ أُفَرِّقُ بينَ النَبِيذِ،
وبينَ دِمَايَا..
وما عدتُ أَعْرِفُ كيفَ أُمَيِّزُ بينَ كَلَامِ يَدِيكَ
وبينَ كَلَامِ المَرَايَا.
إذا ما تَنَاسَرْتُ في آخِرِ اللَّيْلِ مِثْلَ الشَّظَايَا
وَحَاصَرَنِي العُشُقُ فِي كُلِّ جَانِبٍ
وَحَاصَرَنِي الكُحُلُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
وَصَيَّعْتُ إِسْمِي..
وَعُنْوَانَ بَيْتِي..
وَضَيَّعْتُ أَسْمَاءَ كُلِّ المَرَاكِبِ
فَأَرْجُوكِ، بَعْدَ التَّنَاسُرِ، أَنْ تَجْمَعِينِي
وَأَرْجُوكِ، بَعْدَ انْكِسَارِي، أَنْ تُلْصِقِينِي
وَأَرْجُوكِ، بَعْدَ مَمَاتِي، أَنْ تَبْعَثِينِي
أَنَا الآنَ فِي لَحَظَاتِ الجُنُونِ الكَبِيرِ
وَسَوْفَ تُضِيعِينَ فُرْصَةَ عُمْرِكَ
إِنْ أَنْتِ لَمْ تَسْتَعِلِّي جُنُونِي.

٩

إذا ما النَبِيذُ الفَرَنْسِيُّ،
شَالَ الكِيمُونُو عَنْ الجَسَدِ الآسِيوِيِّ
فَأُطْلِعَ مِنْ عُنْمَةِ التَّهْدِ فَجْرًا

وأطلَعَ منه بهارًا..
وأطلَعَ منه مَحَارًا..
وأطلَعَ منه نُحَاسًا، وشَايَا، وعَاجًا
وأطلَعَ أَشْيَاءَ أُخْرَى..
إِذَا مَا النَبِيذُ الْفَرَنْسِيُّ،
أَلْغَى اللُّغَاتِ جَمِيعًا.
وَحَوَّلَ كُلَّ الثَّقَافَاتِ صِفْرًا..
وَكُلَّ الْحَضَارَاتِ صِفْرًا
وَحَوَّلَ تَغْرِكَ بُسْتَانَ وَرْدٍ
وَحَوَّلَ تَغْرِي حَمْسِينَ تَغْرًا..
إِذَا مَا النَبِيذُ الْفَرَنْسِيُّ أَعْلَنَ فِي آخِرِ اللَّيْلِ،
أَنَّكَ أَحْلَى النِّسَاءِ..
وَأَرْشَقُهُنَّ قَوَامًا وَحَضْرًا
وَأَعْلَنَ أَنَّ الْجَمِيلَاتِ فِي الْكَوْنِ تَنْزُرُ
وَوَحْدَكَ أَنْتِ الَّتِي صِرْتَ شِعْرًا
فَبِاسْمِ السُّكَّارِ جَمِيعًا
وَبِاسْمِ الْحَيَارِ جَمِيعًا
وَبِاسْمِ الَّذِينَ يُعَانُونَ مِنْ لَعْنَةِ الْحُبِّ،
أَرْجُوكِ لَا تَلْعَنِينِي..
وَبِاسْمِ الَّذِينَ يَعَانُونَ مِنْ دَبْحَةِ الْقَلْبِ،
أَرْجُوكِ لَا تَدْبَحِينِي..
أَنَا الْآنَ فِي لَحَظَاتِ الْجُنُونِ الْعَظِيمِ
وَسَوْفَ تُضِيعِينَ فُرْصَةَ عُمْرِكَ،

إِنْ أَنْتِ لَمْ تَسْتَغْلِي جُنُونِي..

٢٥ أيار (مايو) ١٩٨٣

فاطمة في الرّيف البريطاني

١

شهرُ ديسمبر رائعٌ..
شهرُ ديسمبر في لندن، هذا العام، رائعٌ
فيه هاجمني الحُبُّ..
وألقاني جريحًا كمصابيح الشوارع..
هذه فاطمة تلبسُ بَطْطَالًا من الجلد نبيذًا..
وتُوصيني بأنْ أُمسِكها من يديها كي لا أضيعُ
وهي تدري جيّدًا..
أنتي من يوم ميلادي، ببحر الحُبِّ صائغُ
فلماذا في (هارودز) تسيّئني؟
ولماذا غصبتُ مَنّي.. لماذا أعصبتني؟
وهي تدري أنتي من دُونها..
لا أقطعُ الشارعَ وحدي..
لا ولا أدخلُ في المعطفِ وحدي..
لا ولا أشربُ فنجاءًا من القهوة وحدي..
لا ولا أعرف أن أرجعَ للفندق وحدي..
فلماذا في (هارودز) صلبتني؟
فوق أكداش هداياها.. لماذا صلبتني؟

وهي تدري أُنِّي أَعْبُدُهَا
من رَأْسِهَا حَتَّى الْأَصَابِعِ..
شَهْرُ دَيْسَمْبَرٍ رَائِعٌ.

٢

شَهْرُ دَيْسَمْبَرٍ، يَبْقَى مَلِكًا بَيْنَ الشُّهُورِ
فهو أَعْطَانِي مِفَاتِيحَ السَّمَاوَاتِ..
وَأَعْطَانِي مِفَاتِيحَ الْعُصُورِ..
ورماني كوكبًا مُشْتَعِلًا
حول تَهْدِيكَ يَدُورُ..
سَقَطْتُ فِي لَنْدَنِ، كُلُّ التَّوَارِيخِ،
وَعَابَتْ تَحْتَ جَفَتَيْكَ جِبَالٌ وَبُحُورُ..
شَهْرُ دَيْسَمْبَرٍ، أَلْغَاكِ.. وَأَلْغَانِي..
فَنَحْنُ الْآنَ ضَوْءٌ غَيْرُ مَرئي..
وعَطُرٌ.. وَبُحُورُ..
شَهْرُ دَيْسَمْبَرٍ.. مَجْنُونٌ تَعَلَّمَتْ بِهِ..
أَنْ تَتُورِي..
وتَعَلَّمْتُ بِهِ كَيْفَ أَتُورُ..
شَهْرُ دَيْسَمْبَرٍ..
أَلْعَى عُقْدَةَ الْحُبِّ الَّتِي نَحْمِلُهَا
فَإِذَا بِي مِثْلَ عُصْفُورٍ طَلِيقٍ..
وَإِذَا بِكِ، يَا فَاطِمَةُ،
دُونَ جُدُورٍ..

لندنُ.. باردةٌ جدًّا..
 فيا فاطمةُ..
 إفتحي فوقِي مِظَلَّاتِ الحَنَانِ
 لندنُ قاسيةٌ جدًّا..
 وإني خائفٌ جدًّا..
 قرِّدي لي شعوري بالأمانِ
 حَبِّبيني تحت قفطانكِ، يا فاطمةُ
 مثلَ طفلٍ..
 فلقد ضيَّعتُ أبعادي، وأبعدَ المكانِ
 حاولي أن تُصَبِّحي أمِّي.. كما أنتِ الحبيبةُ
 من زمانٍ.. لم أصْغُ رأسي على صدرِ حُنُونٍ..
 مِن زمانٍ..

لندنُ حُبِّي..
 وفي بازِكَاتِها عَنَيْتُ أحلى أغنياتي
 لندنُ مَجْدِي..
 ففيها قد تَعَرَّعَتْ بأولى كَلِمَاتِي..
 لندنُ حُزْنِي..
 على كلِّ رصيفٍ دَمْعَةٌ من دَمْعَاتِي
 لندنُ عاصمةُ القلبِ..

وفيهَا قد تَلَاقِيْتُ بَسِيَّةَ الْمَلِكَاتِ..
لندنُ،

تَعْرِفُ وَجْهِي جَيِّدًا..
فَأَنَا جُزْءٌ مِنَ اللُّونِ الرَّمَادِيِّ..
وَمِنْ أَعْمَدَةِ النُّورِ..
وَأَصْوَاءِ الْمِيَادِينِ..
وَصَوْتِ الْقُبَرَاتِ..
مَنْذُ أَنْ جِئْتُ إِلَيْهَا عَاشِقًا
أَصْبَحْتُ لِنَدْنُ إِحْدَى الْمُعْجَزَاتِ..
لندنُ.. تَأْخُذْنِي كَالطِّفْلِ فِي أَحْضَانِهَا..
وَطَوَالَ اللَّيْلِ، تَتْلُو مِنْ كِتَابِ الذِّكْرِيَّاتِ..
لندنُ صَاحِبَةُ الْقَصْلِ.. فَقَدْ
عَلَّمَتْنِي الْعِشْقَ فِي كُلِّ اللُّغَاتِ..

٥

هَذِهِ فَاطِمَةُ..
تَقْتَحِمُ التَّارِيخَ مِنْ كُلِّ الْجِهَاتِ..
إِنَّهَا تَدْخُلُ كَالْإِبْرَةِ..
فِي كُلِّ تَفَاصِيلِ حَيَاتِي..
أَوْ.. كَمْ تَعْجِبُنِي فَاطِمَةُ..
عِنْدَمَا تَجْلِسُ كَالْقِطْعَةِ بَيْنَ الْمُفْرَدَاتِ..
تَأْكُلُ الْقَنَاحَةَ.. وَالصَّمَّةَ.. فِي شِعْرِي..
وَتَبْتَلُّ بِأَمْطَارِ دَوَاتِي..

مُبْحِرٌ فِي رَمَنِ الْكُحْلِ..
 وَلَا أَدْرِي لَأَيْنَ؟
 مُبْحِرٌ فِيكَ.. وَلَا أَدْرِي لَأَيْنَ؟
 يَا صَبَاحَ الْخَيْرِ.. يَا عُصْفُورَتِي
 أَنَا فِي أَحْسَنِ حَالَاتِي..
 فَمَا أَطْيَبَ الْقَهْوَةَ فِي قُرْبِكَ..
 مَا أَرْشَقَ هَاتَيْنِ الْيَدَيْنِ..
 ثُمَّ مَا أَرَوْعَ أَنْ يَكْتَشِفَ الْإِنْسَانُ
 فِي ذَاتِ صَبَاحٍ لِنَدْنِي..
 فِي مَكَانٍ مَا.. عَلَى ظَهْرِ الْحَبِيبَةِ..
 شَامَتَيْنِ..
 لَمْ تَكُونَا، عِنْدَمَا جِئْتَ مَسَاءَ الْبَارِحَةِ..
 مَوْلُودَتَيْنِ..
 فَاتْرَكِينِي.. أَضْفُرُ الشَّعْرَ الَّذِي
 طَالَ فِي لِنْدَنَ، مِنْ قَرَطِ حَنَانِي، بُوصَتَيْنِ..
 وَاتْرَكِينِي..
 أُمْسِكُ الشَّمْسَ الَّتِي تَغْطُسُ بَيْنَ الشَّقَتَيْنِ..
 أَتْرَكِينِي، أَوْقِفُ التَّارِيخَ يَا فَاطِمَةُ
 لَحْظَةً.. أَوْ لِحْظَتَيْنِ..
 أَخْذُوا كُلَّ عَنَاوِينِي.. وَلَمْ يَبْقَ أَمَامِي
 غَيْرُ هَذَا الشَّارِعِ الصَّيِّقِ بَيْنَ النَّاهِدَيْنِ..

لندُنْ تُمَطِرُنِي ثَلْجًا.. وَأَبْقَى بِاشْتِهَائِي بَدَوِيًّا..
لندُنْ تَمْنَحُنِي كُلَّ الثَّقَافَاتِ.. وَأَبْقَى بِجُنُونِي عَرَبِيًّا..
لندُنْ تُمَطِرُنِي عَقْلًا.. وَأَبْقَى فَوْضُوِيًّا..
لندُنْ تَجْهَلُ حَتَّى الْآنَ.. مَنْ أَنْتِ لَدَيَّ
أَه.. يَا سَنَجَابَةَ اللَّيْلِ الَّتِي تَدْخُلُ فِي الْأَعْمَاقِ
رُوحًا وَتَنِيًّا..

إِنَّ تَارِيخَكَ قَبْلِي كَانَ تَارِيخًا غَبِيًّا
إِنَّ عَصْرِي قَبْلَ أَنْ يُرْسِلَكَ اللَّهُ إِلَيَّ
كَانَ عَصْرًا حَجَرِيًّا..
فَاشْرَبِي شَيْئًا مِنَ الْخَمْرِ مَعِي..
إِشْرَبِي شَيْئًا مِنَ الْخُلْمِ مَعِي..
إِشْرَبِي شَيْئًا مِنَ الْوَهْمِ مَعِي..
إِشْرَبِي شَيْئًا مِنَ الْقَوْصَى مَعِي..
إِشْرَبِي حَتَّى تُصِيرِي امْرَأَةً..
وَاتْرَكِي الْبَاقِي عَلَيَّ..

شَهْرُ دَيْسَمْبَرٍ يَأْتِي
لَابِسًا مَعْطَفَ شَاعِرٍ
شَهْرُ دَيْسَمْبَرٍ يُهْدِينِي دُمُوعًا.. وَشُمُوعًا.. وَدَقَاتِرَ..
هَذِهِ فَاطِمَةُ تَلْبَسُ كَيْمُوتًا مِنَ الصِّينِ..

مُوسَى بِالْأَزَاهِرِ..
شايٌ بَعْدَ الظَّهْرِ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهَا
مَهْرَجَانَاتٌ مِنَ اللَّوْنِ..
وَمُوسيقى أَسَاوِرُ..
لَمْ تَكُنْ فَاطِمَةُ مُشْرِقةَ الْوَجْهِ
كَمَا كَانَتْ (بِمَارْلُو)..
لَمْ تَكُنْ صَافِيَةَ الْعَيْنِ كَمَا كَانَتْ (بِمَارْلُو)..
لَمْ تَكُنْ مَعْتَرَّةَ النَّهْدَيْنِ مِنْ قَبْلُ..
كَمَا كَانَتْ (بِمَارْلُو)..
لَمْ تَكُنْ مَلْفُوقَةَ الْحَصْرِ..
كَمَا كَانَتْ (بِمَارْلُو)..
لَمْ يَكُنْ يَسْكُنُهَا الشَّعْرُ..
كَمَا كَانَتْ (بِمَارْلُو)..
إِنِّي آمَنْتُ أَنَّ الْحُبَّ سَاحِرٌ..

٩

هذه فاطمة..
تَغْسِلُ تَهْدِيهَا النُّحَاسِيَّينَ بِالْمَاءِ.. كَطَائِرُ
وَأَنَا فِي الْغُرْفَةِ الْخَضِرَاءِ أَسْتَلْقِي سَعِيدًا
تَحْتَ أَشْجَارِ الْكَكَاوِ..
وَهْتَافَاتِ الْمَرَايَا وَالسَّتَائِرِ..
فَأَشْرَبِي شَيْئًا مِنَ الشَّعْرِ مَعِي..
فَأَنَا – دَوْلَكِ يَا سَيِّدَتِي – لَسْتُ بِشَاعِرٍ

إشربي حتى تصيري امرأة..
إن حُبِّي لك مَجْنُونٌ.. وَمَلْعُونٌ..
وَوَحْشِيٌّ الْأَظَاغِرُ..

١٠

وَرَقُّ الْأَشْجَارِ فِي (مَارْلُو)..
نَحَاسِيٌّ.. وَوَرْدِيٌّ.. وَأَصْفَرٌ..
وَلِقَائِي بِكَ فِي الرِّيفِ الْبَرِيطَانِيِّ
حُلْمٌ لَا يُفَسَّرُ..
وَالْعَصَافِيرُ تَرَى ثَغْرَكَ فِي أَحْلَامِهَا
وَرْدَةً.. أَوْ نَجْمَةً.. أَوْ قُرْصَ سُكَّرٍ
وَأَنَا مَعْتَقِلٌ مَا بَيْنَ نَهْدَيْكَ..
وَلَا أَطْلُبُ - يَا سَيِّدَتِي - أَنْ أَتَحَرَّرَ..
آه.. يَا قِطَّةَ (مَارْلُو)..
لِيَتَنِي أَقْدُرُ أَنْ أَغْرُقَ فِي قَرْوِكَ أَكْثَرَ..
لِيَتَنِي أَقْدُرُ أَنْ أَبْقَى..
بِهَذَا الْفَنْدَقِ الضَّائِعِ بَيْنَ الْغَيْمِ أَكْثَرَ..
لِيَتَنِي أَقْدُرُ أَنْ أَدْخَلَ فِي جِلْدِكَ..
فِي شَعْرِكَ..
فِي صَوْتِكَ أَكْثَرَ..
آه.. يَا أَيَّتُهَا الْأُنْثَى الَّتِي لَا تَتَكَرَّرُ
هَلْ عَشَقْتُ امْرَأَةً قَبْلَكَ.. يَا فَاطِمَةُ؟
إِنِّي لَا أَتَذَكَّرُ..

هل سَاهَوِي امرأةً بَعْدَكَ.. يا فاطمةُ
إِنِّي لَا أَتَصَوَّرُ..

١١

آه.. يا قِطَّةَ (مارلُو) السَّاحِرَةِ
عَلَّمِينِي.. كيف تُلغِي الذَّاكِرَةَ
هل سَأَلْكَ (بمارلُو)؟
بعد عامٍ، رَّبِّمَا، أو بعد شَهْرٍ..
فتَنَامِينِ على أعْشَابِ صَدْرِي..
وَتُفَيِّقِينِ على أعْشَابِ صَدْرِي..
قبل (مارلُو) ليس لي عُمْرٌ.. فَأَنْتِ الْآنَ عُمْرِي..
بعدَ (مارلُو) سَيَقُولُ النَّاسُ: أَمَا أَجْمَلَ عَيْنِيكَ.. وما أَعْظَمُ شِعْرِي..
لم أَشَاهِدْ لَيْلَةَ الْقَدْرِ.. فَهَلْ
أَنْتِ، يا فاطمةُ، لَيْلَةُ قَدْرِي؟؟

١٢

أَرْجِعِينِي مَرَّةً أُخْرَى إِلَى (مارلُو)..
فَفِيهَا عِشْتُ عَصْرِي الذَّهَبِيَّ..
لم يَرِ الرِّيفُ الْبَرِيطَانِيَّ مِنْ قَبْلِكَ
عَيْنَيْنِ تَقُولَانِ كَلَامًا عَرَبِيًّا..
قَبْلَ أَنْ أَلْقَاكَ فِي فَنْدُقِ (مارلُو) كُنْتُ إِنْسَانًا..
وَأَصْبَحْتُ نَبِيًّا..
أَرْجِعِي لِي غُرْفَتِي فِي مَلْتَقَى النِّهْرِ،

وأحلامي..

ورُكْنِي الشاعرِيا..

قبل (مارلُو) لا يُساوي العمرُ شيّا

بعدَ (مارلُو) لا يُساوي العمرُ شيّا

إِنَّ عَيْتِيكَ هُمَا ما كَتَبَ اللَّهُ عليّا

فاتركيني نائماً بينهما..

واقفلي البابَ عليّا..

مع فاطمة في قطار الجنون

١

إِبْحَثِي عن رَجُلٍ غيري..
إذا كنتِ تريدينَ السَّلامَ..
كُلُّ حُبٍّ حارقٍ..
هو - يا سيِّدتي - ضِدَّ السَّلامِ
كُلُّ شِعْرِ حارقٍ..
هو - في تشكِيلِهِ - ضِدَّ السَّلامِ
فابحثي عن رَجُلٍ غيري..
إذا كنتِ تُحسِّينَ بأصواتِ الندامَةِ
إِبْحَثِي عن رَجُلٍ..
يملكُ القدرةَ والصبرَ.. لتثقيفِ حَمَامَهُ
فأنا من قَبْلُ.. ما حاولتُ تثقيفَ حَمَامَهُ..
إِنَّ حُبِّي لَكَ يا سيِّدتي
أشبهُ في يومِ القِيامَةِ..
من تُرى يقدِّرُ أن يهربَ من يومِ القِيامَةِ؟
فاقْبَلِي ما قسمَ اللَّهُ عَلَيْكَ..
بإيمانٍ عميقٍ.. وابتسامَةٍ..
واتَّبِعِينِي..

عندما أركبُ في الليل قطاراتِ الجُنُونِ..
طالما أنتِ معي..
لستُ مهتمًّا بما كانَ..
وما سوفَ يَكُونُ..

٢

آه.. يا سُنْبُلَةَ القمحِ التي تخرج من وَسْطِ الدُّمُوعِ
دَخَلَ السيفُ إلى القلبِ، ولا يمكننا الآن الرُّجُوعُ
إِنَّا الآنَ على بَوَّابةِ العشقِ الخطيرَةِ..
وأنا أهْوَاكِ حَتَّى الدَّبَحِ..
حَتَّى الموتِ..
حَتَّى القَشْعِرِيرَةِ..
نحنُ مَشْهُورانِ جدًّا..
وجريئان على التاريخِ جدًّا..
والإشاعاتُ كثيرَةٌ..
هكذا يحدث دومًا في العلاقاتِ الكبيرَةِ.
آه.. يا فاطمتي..
يا التي عَشْتُ وإيَّاهَا ملايينَ الحماقاتِ الصغيرَةِ
إِنِّي أعرفُ معنى أن يكونَ المرءُ في حالةِ عَشْقٍ
خلفَ أسوارِ الزمانِ العربيِّ
وأنا أعرفُ معنى أن يبوحَ المرءُ..
أو يهمسَ..
أو ينطقَ..

في هذا الزمان العربيّ..
وأنا أعرفُ معنى أن تكوني امرأتي..
رغم إرهاب الزمان العربيّ..
فأنا تطلبني الشرطه للتحقيق في ألوان عينيّك..
وفيما تحت قُمصاني..
وفيما تحت وجداني..
وأسفاري.. وأفكاري.. وأشعاري الأخيرة..
وأنا لو أمسكوني..
أسرق الكُحل الذي يُمطر من عينيّك..
صادّثني بواريد العشيره..
فافتحي شعرك عن آخره..
إنني مُضطهد مثل نبيّ..
ووحيد كجزيره..
افتحي شعرك عن آخره..
وانترعي منه الدبابيس.. فهذه فرصه العمر الأخيره

٣

آه.. يا أيقونة العمر الجميله
يا التي تأخذني كل صباح من يدي
نحو ساحات الطفوله..
وئريني تحت جفّتيها شُموسًا مُستحيله..
وبلاّدا مستحيله..
أيها الكنز الخرافي الذي كان معي

في قطارات الشمال..
إِنَّ حَبْرَ الصين في عَيْتِكَ - يا سَيِّدتي - فوق احتمالي..
يا الَّتِي تَمُرُّ من بين شراييني..
كعطر البرُّقالِ..

ع

يا الَّتِي تشطُّرني نِصْفَيْنِ في الليل..
وعند الفجر، تُلقيني على رُكْبَتِها.. نِصْفَ هلالٍ..
يا الَّتِي تحتلُّني شرقًا.. وغربًا..
ويمينًا.. وشمالًا..
إِسْتَمَرِّي في احتلالي..
أنا مشتاقٌ إلى أَيَّام (وندرمير)..
مشتاقٌ لأنْ أَمْشي وإِيَّاكَ على الماءِ..
وأنْ أَمْشي على الغيمِ..
وأنْ أَمْشي على الوقتِ..
ومشتاقٌ لأنْ أَبْكي على صدركِ حتَّى آخِرِ العمرِ..
وحتَّى آخِرِ الشَّعْرِ..
ومشتاقٌ لحانات الصَّواحي..
وكراسينا أمام النارِ..
مشتاقٌ إلى كلِّ الدُّرَى البيضاءِ..
حيثُ اختلط الكُحْلُ الحجازيُّ مع الثلجِ..
ومشتاقٌ إلى شيءٍ من الكونياكِ..
في بَرْدِ اللياليِ..

آه.. يا عصفورة الماء التي تجلس قربي..
 في قطارات الشمال..
 إمسيني من ذراعي جيّدًا..
 فالقرارات التي يُصدرها السلطان لا تُشغل بالي..
 ومِلّقاتي لدى الشرطة لا تُشغل بالي..
 وحده حُبّك - يا سيّدي - يُشغل بالي..
 نحنُ قامرنا كثيرا..
 وتطرّفنا كثيرا..
 وتجاوزنا إشارات المُرور..
 فامسيني من ذراعي جيّدًا..
 لتدور الأرض..
 فالأرض بلا حُبّ كبيرٍ.. لا تدور..

أحبك.. أحبك.. وهذا توقعي

١

هل عندك شكُّ أُنثى أحلى امرأة في الدنيا؟

وأهمُّ امرأة في الدنيا؟

هل عندك شكُّ أُنثى حين عثرتُ عليك..

ملكْتُ مفاتيح الدنيا؟

هل عندك شكُّ أُنثى حين لمستُ يدَيْك

تغيّر تكوين الدنيا؟

هل عندك شكُّ أن دخولك في قلبي

هو أعظم يوم في التاريخ..

وأجملُ خبر في الدنيا؟

٢

هل عندك شكُّ في مَنْ أنت؟

يا مَنْ تحتلُّ بعينيها أجزاء الوقت

يا امرأة تكسر، حين تمرُّ، جدار الصوت

لا أدري ماذا يحدث لي؟

فكأنك أنثى الأولى

وكأنني قبلك ما أحببتُ

وكأني ما مارسْتُ الحُبَّ.. ولا قَبَّلْتُ لا قُبِّلْتُ
مِلادي أنتِ.. وَقَبْلَكَ لا أَتَذَكَّرُ أَنِّي كُنْتُ
وغطائي أنتِ.. وَقَبْلَ حنانِكَ لا أَتَذَكَّرُ أَنِّي عِشْتُ
وكأني أَيْتَهَا المِلِكَةُ..
من بطنِكَ كالْعُصْفُورِ خَرَجْتُ..

٣

هل عندكَ شِكُّ أَنتِ جزءٌ من ذاتي
وبأني من عَيْنَيْكَ سَرَقْتُ النارَ..
وقمْتُ بأخطَرَ ثَوْرَاتِي
أَيْتَهَا الوردَةُ.. والياقُوتَةُ.. والريحانةُ..
والسلطانَةُ..
والشَّعْبِيَّةُ..
والشَّرْعِيَّةُ بين جميع المِلِكَاتِ..
يا سَمَكًا يَسْبُحُ في ماءِ حياتي
يا قَمَرًا يَطْلُعُ كُلَّ مساءٍ من نافذة الكَلِمَاتِ..
يا أعْظَمَ فَتْحٍ بين جميع فُتُوحَاتِي
يا آخَرَ وَطَنِ أُولِدُ فيه..
وأُدَقِّنُ فيه..
وأُنْشُرُ فيه كِتَابَاتِي..

٤

يا امْرَأَةَ الدَّهْشَةِ.. يا امرأتي

لا أدري كيف رمانى الموجُ على قَدَمَيْكَ
لا أدري كيف مَشَيْتِ إِلَيَّ..
وكيف مَشَيْتِ إِلَيْكَ..
يا مَنْ تتراحمُ كُلُّ طُيُورِ الْبَحْرِ..
لكي تَسْتَوِطْنَ فِي تَهْدِيكَ..
كم كان كَبِيرًا حَظِّي حين عَثَرْتُ عَلَيْكَ..
يا امرأةً تَدْخُلُ فِي تَرْكِيبِ الشَّعْرِ..
دافئهُ أَنْتِ كَرْمَلِ الْبَحْرِ..
رائعُهُ أَنْتِ كَلِيلَةُ قَدْرٍ..
من يومِ طَرَقَتِ الْبَابَ عَلَيَّ.. ابْتَدَأَ الْعُمْرُ..

٥

كم صار جَمِيلًا شِعْرِي..
حين تَتَقَفَ بَيْنَ يَدَيْكَ..
كم صرْتُ غَنِيًّا.. وَقَوِيًّا..
لَمَّا أَهْدَاكَ اللَّهُ إِلَيَّ..
هل عِنْدَكَ شِكُّ أُنْثَى قَبَسٌ مِنْ عَيْتِي
ويداكِ هما استمراؤُ ضوئِي لِيَدَيَّ..
هل عِنْدَكَ شِكُّ..
أَنْ كَلَامَكَ يَخْرُجُ مِنْ شَفَتِي؟
هل عِنْدَكَ شِكُّ..
أُنْثَى فِيكَ.. وَأَنْثَى فِيَّ؟؟

يا نارًا تجتاحُ كياني
يا ثَمَرًا يملأُ أغصاني
يا جَسَدًا يقطعُ مثلَ السيفِ،
ويضربُ مثلَ البركانِ
يا نهْدًا.. يعبقُ مثلَ حقولِ التَّبَغِ
ويركُضُ نحوي كحصانٍ..
قولي لي:
كيف سأُنقِذُ نفسي من أمواجِ الطُوفانِ..
قُولي لي:
ماذا أفعلُ فيكَ؟ أنا في حالةِ إِدْمَانٍ..
قولي ما الحلُّ؟ فأشواقِي
وصلتْ لحدودِ الهَدْيَانِ..

يا ذاتِ الأنفِ الإغرِيقِيَّ..
وذاتِ الشَّعرِ الإسباني
يا امْرَأَةً لا تَتَكَرَّرُ في لافِ الأزمانِ..
يا امْرَأَةً ترقصُ حافيةَ القَدَمَيْنِ بمدْحَلِ شِرْبَانِي
من أينَ أتَيْتِ؟ وكيفَ أتَيْتِ؟
وكيفَ عَصَفْتِ بوجداني؟
يا إحدى نِعَمِ اللَّهِ عَلَيَّ..

وَعَيِّمَةَ حُبِّ وَحَنَانٍ..
يا أغلى لؤلؤةٍ بيدي..
آه.. كم ربّي أعطاني..

حَبِيبَتِي تَقْرَأُ فَنَجَانُهَا

١

تَوَقَّفِي.. أَرْجُوكِ.. عَنْ قِرَاءَةِ الْفَنَاجِ

حِينَ تَكُونِينَ مَعِي..

لَأَنَّنِي أَرْفُضُ هَذَا الْعَبَثَ السَّخِيفَ،

فِي مَشَاعِرِ الْإِنْسَانِ.

فَمَا الَّذِي تَبْغِينَ، يَا سَيِّدَتِي، أَنْ تَعْرِفِي؟

وَمَا الَّذِي تَبْغِينَ أَنْ تَكْتَشِفِي؟

أَنْتِ الَّتِي كُنْتَ عَلَى رَمَالِ صَدْرِي..

تَطْلِبِينَ الدَّفْءَ وَالْأَمَانَ..

وَتَصْهَلِينَ فِي بَرَارِي الْحُبِّ كَالْحِصَانِ..

أَلَمْ تَقُولِي ذَاتَ يَوْمٍ..

إِنَّ حُبِّي لَكَ مِنْ عَجَائِبِ الزَّمَانِ؟

أَلَمْ تَقُولِي إِنَّنِي..

بَحْرٌ مِنَ الرِّقَّةِ وَالْحَتَانِ؟

فَكَيْفَ تَسْأَلِينَ، يَا سَيِّدَتِي،

عَنِّي.. مُلُوكَ الْجَانِ؟

حِينَ أَكُونُ حَاضِرًا..

وَكَيْفَ لَا تَصَدِّقِينَ مَا أَنَا أَقُولُهُ؟

وتطلينَ الرأيَ من صديقكِ الفُجاءِ..

٢

تَوَقَّفي.. أرجوكِ.. عن قراءة العُيُوبِ..

إِنْ كَانَ من بشارَةٍ سعيدَةٍ..

أَوْ خَبَرٍ..

أَوْ كَانَ من حمامَةٍ تحمل في منقارها مَكْتُوبٌ..

فإِنِّي الشخصُ الذي سَيُطْلَقُ الحَمَامَةُ..

وإِنِّي الشخصُ الذي سَيَكْتُبُ المَكْتُوبُ..

أَوْ كَانَ يا حبيبتِي من سَقَرٍ..

فإِنِّي أعرفُ من طفولتي.. خرائطَ الشمال والجنوبِ..

وأعرفُ المدائنَ التي تبيعُ للنساءِ أروعَ الطُّيُوبِ..

وأعرفُ الشمسَ التي تنامُ تحت شَرَشَفِ المحبُوبِ..

وأعرفُ المطاعمَ الصُّغرى التي تشتبكُ الأيدي بها..

وتهمسُّ القلوبُ للقلوبِ..

وأعرفُ الخمرَ التي تفتحُ يا حبيبتِي نوافذَ العُروبِ

وأعرفُ الفنادقَ الصغرى التي تعفو عن الدُّنُوبِ

فكيفَ يا سيِّدتي؟

لا تقبلينَ دعوتي

إلى بلادِ هَرَبَتْ من مُعْجَمِ البُلْدَانِ..

قصائدُ الشِّعْرِ بها..

تنبتُ كالْعُشْبِ على الحيطانِ..

وبَحْرُها..

يخرجُ منه القمَحُ.. والنساءُ.. والمَرَجَانُ..
فيكفَ يا سيِّدتي..
تركِني.. منكَسِرَ القلبِ على الإيوانِ
وكيف يا أميرةَ الزمانِ؟
سافرتِ في فنجانٍ..

٣

توقَّفي قوِّرا..
فإني لستُ مهتمًّا بكشْفِ الفالِ
ولستُ مهتمًّا بأن أُقيمَ أحلامي على رمالٍ
ولا أرى معنى لكلِّ هذه الرسومِ، والخطوطِ، والظلالِ..
ما دام حُبِّي لكِ يا حبيبتي..
يضرِبني كالْبَرْقِ والرَّزَّالِ..
فما الَّذي يفيْدُكَ الإسْرَافُ في الخيالِ؟
ما دام حُبِّي لكِ يا حبيبتي
يُطلِعُ كلَّ لحظةٍ سنايلاً من دَهَبٍ..
وأنهراً من عَسَلٍ.. وعِطَرٍ برُّقالٍ..
فما الذي يفيْدُكَ السؤالُ؟
عن كلِّ ما يأتِيكَ من رسائلٍ
وكلِّ ما يأتِيكَ من أطفالٍ..
وكيف، يا سيِّدتي، يفكِّرُ الرجالُ..

توقفي فوراً..

فإني أرفضُ التزييفَ في مشاعر الإنسان

توقفي.. توقفي..

من قبل أن أُحطَّمَ الفنجانُ..

إلى مُمثلة فاشِلة

١

في طَبْعِكَ التمثيلُ
في طَبْعِكَ التمثيلُ
ثيابُكَ الغريبةُ الصارخةُ الألوانُ..
وصوتُكَ المُفْرِطُ في الحَتَانُ..
وشَعْرُكَ الضائعُ في الزمان والمكان..
والخَلْقُ المغامرُ الطويلُ
جميعُها.. جميعُها..
من عُدَّةِ التمثيلِ..

٢

سيِّدتي:
إِيَّاكَ أَنْ تستعملي قصائدي
في عَرَضِ التجميلِ..
فإِنَّني أكرهُ كلَّ امرأةٍ
تستعملُ الرجالَ للتجميلِ
لستُ أنا.. لستُ أنا..
الشخصَ الذي تُعَلِّقِينَ في الخِرَائِةِ

ولا طُمُوحِي أن أَسْمَى شاعرَ السُّلْطَانَةِ
أو أنْ أَكُونَ قِطْعَةً تُرَكِّيَّةً
تنامُ طولَ الليلِ تحتَ شَعْرِكَ الطويلِ
فالدورُ مستحيلُ.
لأنَّني أرفضُ كلَّ امْرَأَةٍ..
تُحِبُّني.. في عَرَضِ التَّجْمِيلِ..

٣

لا تَسْحَبِينِي من يدي..
إلى مشاويرِكِ مثلَ الحَمَلِ الوديعِ.
لا تحسبيني عاشقًا من جُمْلَةِ العُشَّاقِ في القطيعِ.
ما عدْتُ أَسْتَطِيعُ أنْ أحتَمَلَ الإِذْلالَ يا سَيِّدَتِي،
والريخَ.. والصقيعَ..
ما عدْتُ أَسْتَطِيعُ..
نصيحتي إليك.. أنْ لا تَصْبِغِي الشِّفَاةَ من دمائي
نصيحتي إليك.. أنْ لا تَقْفِزِي من فوق كبريائي
نصيحتي إليك.. أنْ لا تَعْرِضِي
رسائلي التي كَتَبْتُهَا إِلَيْكَ كالإِمَاءِ..
فإنَّني آخِرُ مَنْ يُعَرِّضُ كالخيولِ في مجالسِ النساءِ..

٤

نصيحةُ بريئةٍ إليك.. يا عزيزتي
لا تحسبيني وَصْلَةً شِعْريَّةً أَكُونُ فيها نَجْمَ حَفْلَاتِكَ..

أو تحسبيني بطلاً من ورقٍ يموتُ في إحدى رواياتكُ
أو تُشعليني شمعاً لتضمني نجاح سهراتكُ..
أو تلبسيني معطفاً لتعرفني رأي صديقاتكُ..
أو تجعليني عادةً يوميةً من بين عاداتكُ..

0

نصيحةٌ أخيرةٌ إليك.. يا عزيزتي
لا تستغلي الشَّعرَ حتَّى تُشيعي إحدى هواياتكُ
فلنْ أكونَ راقصاً مُحترفاً..
يسعى إلى إرضاء نِّزواتكُ
وها أنا أقدمُ استقالتي
من كُلِّ جنَّاتكُ..

العُصفور

١

لو حَمَيْنَاهُ من البَرْد قليلا..
وَحَمَيْنَاهُ من العين قليلا..
لو عَسَلْنَا قَدَمَيْهِ بمياه الورد والآسِ قليلا..
آهِ.. لو نحنُ أخذناهُ إلى ساحات باريسَ العظيمة
وتصوّرنا مَعَهُ..
مرّةً في ساحة (الفاندوم) أو في ساحة (الباستيل) أو في الضفّة اليسرى من
السين..
آهِ.. لو تَدَخَّرْنَا على الثلج مَعَهُ..
وهو بالقُبّة الزرقاء يجري..
ودموعي جدولٌ يجري مَعَهُ..

٢

آهِ.. لو نحنُ أخذناهُ إلى عالم (ديزني)..
وركبنا في القطارات التي تمرُّ من بين ملايين
القراشاتِ إلى قَوْس قَرْح..
آهِ.. لو نحن استجبنا لأمانيه الصغيرات..
وآهِ.. لو أكلنا معه (البيتزا) بروما..

وتجَوَّلنا بأحياء فلورنسا..
وتركناه ليرمي خبره لطيور (البُنْدَقِيَّة)..
فلماذا هربَ العصفورُ مِنَّا يا شَفِيَّة؟
قد رَسَمناه بأهداب الجفونِ
وتَحَنَّنناه بأحداق العُيُونِ
وانتظرناه قُرُونًا.. وقُرُونِ
فلماذا هربَ العصفورُ مِنَّا؟
دونَ أن يُلقِي التحيةَ..

٣

ربَّما.. لو أنتِ من جَنَّتِ الخضرَاء، يا سَيِّدتي..
لم تطرُديه..
ربَّما.. لو أنتِ، يا سَيِّدتي، لم تقْطليه..
كانَ سلطانَ زمانِه..
ربَّما.. لو كانَ حيًّا
دخلَ الشمسَ على ظهرِ حصانِه
ربَّما.. لو قالَ شِعْرًا..
يقطُرُ السُّكَّرُ من تحتِ لسانِه
ربَّما.. لو شاءَ يومًا أن يُغْنِي..
يطلُعُ الورْدُ على قَوْسِ كَمَانِه..
ربَّما.. لو ظلَّ حيًّا..
حرَّكَ الأرضَ بأطرافِ بَنانِه..

لا تَقُولِي: (لا تُؤَاخِذْنِي)..
 فقد كَانَ قِضَاءً وَقَدَّرَ..
 هل يَكُونُ الْجَهْلُ وَالسُّخْفُ قِضَاءً وَقَدَّرَ؟
 قَمَرًا كَانَ..
 وَمَنْ يَقْتُلُ، يَا سَيِّدَتِي، ضَوْءَ الْقَمَرِ؟
 وَتَرَّا كَانَ..
 وَمَنْ يَقْطَعُ مِنْ عُودٍ وَتَرٌّ؟
 مَطَرًا كَانَ..
 وَلَنْ يَأْتِيَ إِلَيْنَا مَرَّةً أُخْرَى الْمَطَرُ..
 أَنْتِ لَوْ أَعْطَيْتِهِ الْفُرْصَةَ يَا سَيِّدَتِي..
 رَبَّمَا كَانَ الْمَسِيحُ الْمُتَنَظَّرُ..

آه.. يَا قَاتِلَةَ الْحُلُمِ الْجَمِيلِ الْمُتَبَكَّرِ..
 مُؤَسَفٌ أَنْ يَقْتَلَ الْإِنْسَانُ حُلُمًا..
 مُؤَسَفٌ أَنْ تَكْسِرِي فِي الْأُفُقِ نَجْمًا..
 يَا الَّتِي تَبْكِي طَوَالَ اللَّيْلِ عَصْفُورَ الْأَمَلِ
 سَبَقَ السِّيفُ الْعَرْلُ..
 لَا تَلُومِينِي إِذَا مَا يَبْسَ الدَّمْعُ بَعِينِي
 وَصَارَ الْقَلْبُ فَحْمًا..
 فَأَنَا كُنْتُ أَبًا..

مُدْهَشَ الأَحْلامِ.. لَكِنْ
أَنْتِ، يَا سَيِّدَتِي، مَا كُنْتِ أُمَّاً..

فاطمة في ساحة الكونكورد

١

يُمَطِّرُ عَلَيَّ كُحْلُكَ الْحَازِيَّ
وَأَنَا فِي وَسْطِ سَاحَةِ (الْكَونْكَورْدِ) فَأَرْتَبُكَ..
وَتَرْتَبُكَ مَعِيَ بَارِيسُ
تَسْقُطُ حُكُومُهُ.. وَتَأْتِي حُكُومُهُ
وَتَطِيرُ الْجَرَائِدُ الْفَرَنْسِيَّةُ مِنْ أَكْشَاكِهَا
وَتَطِيرُ الشَّرَاشِفُ مِنْ فَوْقِ طَاوِلَاتِ الْمَقَاهِي..
وَتَطْلُبُ الْعَصَافِيرُ اللَّجُوءَ السِّيَاسِيَّ
إِلَى عَيْنَيْكَ الْعَرَبِيَّتَيْنِ..

٢

أَيْتَهَا الْعَرَبِيَّةُ الدَّاخِلَةُ كَالْخَنَجَرِ فِي صَبَاحَاتِ بَارِيسِ
يَا مَنْ تَرْتَشِفِينَ الْقَهْوَةَ بِالْحَلِيبِ
وَتَرْتَشِفِينَ مَعَهَا كُرَيَّاتِي الْحَمْرَاءَ الْبَيْضَاءَ
مَا كَانَ فِي حَسَابِي أَنْ أُلَاقِيكَ فِي مَحْطَةِ الْحَزَنِ
وَأَنْ تَلْتَقِطِينِي بِأَهْدَابِ حَنَانِكَ
وَأَنَا فِي دَرَوَةِ الْبَرْدِ، وَالْخَوْفِ، الْإِنْكِسَارِ
لَكِنَّ بَارِيسَ قَادِرَةٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

ونبيذُ بوردو الأحمر، هو الذي سَيلْغِي القُروق
بين صقيع أوروبا..
وشُموِس العالمِ الثالِثِ
بين حيائِكِ الجميل..
وبين جُنُونِي..

٣

أَيَّتْهَا العَرَبِيَّةُ الَّتِي تَتَكَسَّرُ عَلَى أَرْصَفَةِ (المُونَمَارْتِز) فَتَافِيَتْ يَاقُوتٍ..
وِغَابَةُ سُيُوفٍ..
يَا مَنْ يَتَصَالُحُ فِي عَيْنَيْهَا الضَّوْءُ.. وَالْعُتْمَةُ..
وَالْمَاءُ.. وَالْحَرَائِقُ
مَا كَانَ فِي حِسَابِي..
وَأَنَا أَتَمَشَّى بَيْنَ (الفاندوم).. وَ(المادلين)..
أَنْ أَدْخَلَ فِي جَدَلِيَّةِ اللُّونِ الْأَسْوَدُ
وإِشْكَالِيَّةِ الْعُيُونِ الْوَاسِعَةِ
كَخَوَاتِمِ الْفَصَّةِ..
مَا كَانَ فِي حِسَابِي..
أَنْ أَدْخَلَ فِي تَفَاصِيلِ التَّارِيخِ الْعَرَبِيِّ
فَلَقَدْ تَخَانَقْتُ مَعَ تَارِيخِي..
وَجِئْتُ إِلَى بَارِيَسَ.. لِأُلْغِي ذَاكَرَتِي
وَلَكِنْ.. مَا أَنْ نَزَلْتُ مِنَ الطَّائِرَةِ..
حَتَّى تَرَلْتُ ذَاكَرَتِي مَعِي..
وَتَرَلَّ شَعْرُكَ الْعَجْرِيُّ مَعِي..

ونزلتْ أثوابكُ.. ومعاطفكُ..

وأدواتُ زينتكِ معي..

لتسدَّ مداخلَ الطُرُقَاتِ

من مطار (شارل دوغول)

إلى كنيسة نوتردام..

ع

يا فاطمةً ساحة (الكونكورڭ)..

يا فاطمةً الفاطِمَاتِ

أيتها السيفُ المرصَّعُ بأجمل الآياتِ

أيتها الخصرُ الذي يقولُ القصائدَ والأغنياتِ

أيتها اللغةُ التي ألعتْ جميعَ اللغاتِ..

أرْحَبُ بكِ في باريسٍ..

وأرجو لكِ إقامةً سعيدةً

فوق أعشابِ صدري..

٥

يا ذاتِ الشفتينِ المُمْتَلِئَتَيْنِ كَحَبَّتِي فَكِهَةً..

كم هُوَ استفزازيُّ نوعُ العطر الذي تضعينه

وكم هُوَ رائعُ إفطارِ الصباحِ معكِ..

وأنتِ تنقرينَ قطعةً (الكرواسانَ) كعصفورٍ

وتنقرينَ فمي كعصفورٍ

أيتها السنجابةُ الآسيويةُ

الَّتِي تَنْطُّ مِنْ أَعْلَى (بِرْجِ إِيْفَل) إِلَى صَدْرِي..
وَلَا تَخْشَى الدُّوَارَ..
وَتَسْتَحْمُ بِنَوَافِيرِ (قَصْرِ فِرْسَاي) وَلَا تَخْشَى الْعَرَقَ..
وَتَنَامُ عَارِيَّةً عَلَى أَعْشَابِ حَدِيقَةِ (التَّوِيلِرِي)..
وَلَا تَخْشَى الْفَضِيحَةَ..

٦

أَتَيْتُهَا الْعَرَبِيَّةُ الَّتِي يَنْقُطُ الْعَسَلُ الْأَسْوَدُ مِنْ عَيْنَيْهَا
نُقْطَةً.. نُقْطَةً..
وَيَنْقُطُ الشَّعْرُ مِنْ شَفَتَيْهَا السُّفْلَى
قَصِيدَةً.. قَصِيدَةً..
وَيَرْنُ حَلْقُهَا الطَّوِيلُ صَبَاحَ يَوْمِ الْأَحَدِ
كِنَافُوسِ كَنِيسَةٍ..
مَا كَانَ فِي حِسَابِي..
أَنْ أَمَرَ مَعَكُمْ ذَاتَ يَوْمٍ تَحْتَ قَوْسِ النُّصْرِ
لِنَضَعِ وَرْدَةً عَلَى قَبْرِ الْعَاشِقِ الْمَجْهُولِ..
وَلَا كَانَ فِي حِسَابِي..
أَنْ أَرَى صُورَتَكُمْ فِي مَتَحَفِ اللُّوفِرِ
مَعَ أَعْمَالِ رَيْنَوَارَ..
وَمَاتِيَسَ..
وَسِيزَانَ..
وَأَنْ أَرَى أَعْمَالِي الشَّعْرِيَّةَ
تَبَاغُ فِي مَكْتَبَاتِ الضَّفَّةِ الْيُسْرَى

مع أعمال رامبو..

وفيرلين..

وجاك بريفيير..

٧

صباح الخير..

أيتها العصفورة القادمة من المياه الدافئة

لتغتسلَ بمطار باريس

أمطار حيني..

صباح الخير..

أيتها السمكة التي تتكلم اللغة العربية

وتتهجى كلمات الحب باللغة الفرنسية..

وتتهجاني بكل لغات الأنوثة..

٨

كلما سافرتُ إلى باريس دون حُزٍ..

تصيرنُ فُندُقي..

٩

صباح الخير.. يا بُسْتَانَ الرَّعْفَرَانِ

صباح الخير.. يا سُجَّادَةَ الكاشَانِ

صباح الخير على أصابعك النائمة بين أصابعي..

وعلى معطف المطر الذي كنتِ تلبسينه معي..
وعلى جرائد الصباح التي كنتِ تتصفحينها معي..
صباح الخير..

على الكافيتريات التي تترتينا فيها..
وعلى البوتيكات التي رافقتك إليها..
وعلى المرايا التي دخلناها معًا..
ثم سافرت..
وتركتني حتى الآن.. مرسومة عليها..

١٠

يا فاطمة:
يا ذات الشفتين المعطرتين بحب الهال
والقدمين المرشومتين بالأكواريل
لم يكن في حسابي
أن أكون أشهر العشاق بتاريخ العرب..
وأشهر العشاق في تاريخ فرنسا..
لم يكن في حسابي..
أن أدخل إلى باريس بجواز سفر عربي
وأخرج منها..
رئيسًا للجمهورية الخامسة!!

امرأة تمشي في داخلي

١

لا أَحَدَ قَرَأَ فَنَجَانِي..
إِلَّا وَعَرَفَ أَنَّكَ حَبِيبَتِي
لا أَحَدَ دَرَسَ حُطُوطَ يَدِي
إِلَّا وَاکْتَشَفَ حُرُوفَ اسْمِكَ الْأَرْبَعَةَ..
كُلُّ شَيْءٍ يُمْكِنُ تَكْذِيبُهُ
إِلَّا رَائِحَةَ امْرَأَةٍ تُحِبُّهَا..
كُلُّ شَيْءٍ يُمْكِنُ إِخْفَاؤُهُ
إِلَّا حَطَاوَاتِ امْرَأَةٍ تَتَحَرَّكُ فِي دَاخِلِنَا..
كُلُّ شَيْءٍ يُمْكِنُ الْجَدَلُ فِيهِ..
إِلَّا أَنْوَتَكَ..

٢

أَيْنَ أَخْفِيكَ يَا حَبِيبَتِي؟
نَحْنُ غَابَتَانِ تَشْتَعْلَانِ
وَكُلُّ كَامِيرَاتِ التَّلْفِزِيُونِ مَسْلُطَةٌ عَلَيْنَا..
أَيْنَ أَخْبَيْتُكَ يَا حَبِيبَتِي؟
وَكُلُّ الصَّحَافِيِّينَ يَرِيدُونَ أَنْ يَجْعَلُوا مِنْكَ

تَجَمَّعَ الغلافُ..
ويجعلوا مَنِّي بطلاً إغريقاً
وفضيحةً مكتوبةً..

٣

أَيْنَ أذهبُ بكِ؟
أَيْنَ تذهبنَ بي؟
وكلُّ المقاهي تحفظُ وجوهنا عن ظَهَرِ قلبِ
وكلُّ الفنادق تحفظُ أسماءنا عن ظَهَرِ قلبِ
وكلُّ الأرصفة تحفظُ موسيقى أقدامنا
عن ظَهَرِ قلبِ..
نحنُ مكشوفان للعالم كَشُرْفَةٍ بحريَّة
ومرئيان كَسَمَكَيْنِ ذهبيَّين..
في إناءٍ من الكريستالِ..

٤

لا أَحَدَ قرأ قصائدي عنكِ..
إِلَّا وعرفَ مصادرَ لغتي..
لا أَحَدَ سافر في كُتُبي
إِلَّا وَصَلَ بالسلامة إلى مرفأ عَيْتِكَ
لا أَحَدَ أعطِيتهُ عُنوانَ بيتي
إِلَّا توجَّهَ صَوَّبَ شفتيك..
لا أَحَدَ فتحَ جواريري

إِلَّا وَوَجَدَكَ نَائِمَةً هُنَاكَ كَفَرَاشَةً..
وَلَا أَحَدَ نَبَشَ أَوْرَاقِي..
إِلَّا وَعَرَفَ تَارِيخَ حَيَاتِكَ..

٥

عَلِّمْنِي طَرِيقَةً..
أَحْبِسْكِ بِهَا فِي التَّاءِ الْمَرْبُوطَةَ
وَأَمْنُكَ مِنَ الْخُرُوجِ..
عَلِّمْنِي أَنْ أَرْسِمَ حَوْلَ نَهْدِكَ
دَائِرَةً بِالْقَلَمِ الْبِنْفَسَجِيِّ
وَأَمْنُهُمَا مِنَ الطَّيْرَانِ
عَلِّمْنِي طَرِيقَةً أَعْتَقْلِكَ بِهَا كَالنَّقْطَةِ فِي آخِرِ السَّطْرِ..
عَلِّمْنِي طَرِيقَةً أَمْشِي بِهَا تَحْتَ أَمْطَارِ عَيْنَيْكَ.. وَلَا أَتَبَلَّلُ
وَأَشْمُ بِهَا جَسَدَكَ الْمَضْمَحَ بِالْبَهَارَاتِ الْهِنْدِيَّةِ.. وَلَا أَدُوخُ..
وَأَتَدَخَّرُ مِنْ مُرْتَفَعَاتِ نَهْدِكَ الشَّاهِقِينَ..
وَلَا أَتَفَتُّ..

٦

إِرْفَعِي يَدَيْكَ عَنْ عَادَاتِي الصَّغِيرَةِ
وَأَشْيَائِي الصَّغِيرَةِ..
عَنِ الْقَلَمِ الَّذِي أَكْتُبُ بِهِ..
وَالْأَوْرَاقِ الَّتِي أَحْرَبْتُ عَلَيْهَا..
وَعَلَّاقَةِ الْمَفَاتِيحِ الَّتِي أَحْمِلُهَا..

والقهوة التي أحسيتها..
وربطات العنق التي أقتنيها
إرفعي يديك عن كتابتي..
فليس من المعقول أن أكتب بأصابعك
وأتنفس برئتيك..
ليس من المعقول أن أضحك بشفتيك
وأن تبكي أنتِ بعُيوني!!

٧

إجلسي معي قليلاً..
لنعيد النظر في خريطة الحب التي رسمتها
بقسوة فاتح مغولي..
وأنا نية امرأة تريد أن تقول للرجل: "كن.. فيكون..
كلميني بديمقراطية،
فذكور القبيلة في بلادي..
أتقنوا لعبة القمع السياسي
ولا أريدك أن تُمارسي معي
لعبة القمع العاطفي..

٨

إجلسي حتى نرى..
أين حدود عييتك؟
وأين حدود أحزاني؟

أين تبتدىء مياهُك الإقليمِيَّة؟
وأين ينتهي دمي؟
إجلسي حتَّى تتفاهمَ..
على أيِّ جزءٍ من أجزاء جَسدي
ستتوقَّف فتوحائُك..
وفي أيِّ ساعةٍ من ساعات الليلِ
ستبدأ عَرَوائُك؟

٩

إجلسي معي قليلاً..
حتَّى نتفقَ على طريقة حُبِّ
لا تكونينَ فيها جاريتي..
ولا أكونُ فيها مستعمرةً صغيرةً
في قائمة مستعمراتِك..
الَّتِي لا تزالُ منذ القرن السَّابع عَشَرَ
تطالبُ نَهْدِيكَ بالتحَرُّرِ
ولا يسمعانَ..
ولا يسمعانَ..

لا أرى أحداً سِوَاكِ

أنا لا أفكّر..

أن أقاومَ، أو أثورَ على هِوَاكِ..

فأنا وكلُّ قصائدي..

من بعض ما صنعتُ يدَاكِ..

إنَّ الغرابةَ كلّها..

أُتِي محاطٌ بالنساءِ..

ولا أرى أحداً سِوَاكِ..

على عَيْنِكَ يضبط العالم ساعاته

١

قبل أن تُصْبِحِي حَبِيبَتِي
كَانَ هُنَاكَ أَكْثَرُ مِنْ تَقْوِيمٍ لِحَسَابِ الزَّمَنِ
كَانَ لِلْهُنُودِ تَقْوِيمُهُمْ،
وَلِلصِّينِيِّينَ تَقْوِيمُهُمْ،
وَلِلْفَرَسِ تَقْوِيمُهُمْ،
وَلِلْمِصْرِيِّينَ تَقْوِيمُهُمْ،
بَعْدَ أَنْ صَرَّتِ حَبِيبَتِي
صَارَ النَّاسُ يَقُولُونَ:
السَّنَةُ الْأَلْفُ قَبْلَ عَيْنَيْهَا
وَالْقَرْنُ الْعَاشِرُ بَعْدَ عَيْنَيْهَا.

٢

وَصَلْتُ فِي حُبِّكَ إِلَى دَرَجَةِ التَّبَحُّرِ
وَصَارَ مَاءُ الْبَحْرِ أَكْبَرَ مِنَ الْبَحْرِ
وَدَمَعُ الْعَيْنِ أَكْبَرَ مِنَ الْعَيْنِ
وَمَسَاحَةُ الطَّعْنَةِ..
أَكْبَرَ مِنْ مَسَاحَةِ اللَّحْمِ.

لم يَعْدُ بُؤْسُعي أن أُجَبَّكَ أَكْثَرَ
 وأتَوَحَّدَ بِكَ أَكْثَرَ
 صارتُ شفتايَ لا تكفيانِ لتَغْطِيَةِ شَفَتَيْكَ
 وذراعايَ لا تكفيانِ لتَطْوِيقِ خَصْرِكَ
 وصارتُ الكَلِماتُ التي أَعْرِفُها
 أَقَلَّ بكثيرٍ،
 من عددِ الشَّامَاتِ التي تُطَرِّزُ جَسَدَكَ.

لم يَعْدُ بُؤْسُعي،
 أن أَتَعَلَّلَ في أَدْعَالِ شَعْرِكَ أَكْثَرَ
 فمَنْدُ أعوامٍ،
 وهُمْ يُعْلِنُونَ في الجرائدِ أَنِّي مَفْقُودٌ
 ولا زِلْتُ مَفْقُودًا..
 حتَّى إِشعارِ آخَرٍ..

لم يَعْدُ بُؤْسُعُ اللغة أن تُقُولَكَ..
 صارتِ الكَلِماتُ كالخيولِ الحَسَبِيَّةِ
 تركزُ وراءَكَ ليلًا ونهارًا
 ولا تَطالُكَ..

٦

كَلَّمَا اتَّهَمُونِي بِحُبِّكَ..
أَشْعُرُ بِتَفَوُّقِي.
وَأَعْقُدُ مُؤْتَمَرًا صَحْفِيًّا،
أَوْرَعُ فِيهِ صُورَكَ عَلَى الصَّحَافَةِ،
وَأُظْهِرُ عَلَى شَاشَةِ التِّلْفَازِ
وَأَنَا أَصْعُ فِي عُرْوَةِ ثُوبِي
وَرَدَّةَ الْفَضِيحَةِ..

٧

كُنْتُ أَسْمَعُ الْعُشَّاقَ
يَتَحَدَّثُونَ عَنْ أَشْوَاقِهِمْ
فَأَصْحَكُ..
وَلَكِنْ عِنْدَمَا رَجَعْتُ إِلَى فُنْدُقِي
وَشَرِبْتُ قَهْوَتِي وَحْدِي..
عَرَفْتُ كَيْفَ يَدْخُلُ خَنْجَرُ الشَّوْقِ فِي الْخَاصِرَةِ
وَلَا يَخْرُجُ أَبَدًا..

٨

مُشْكَلْتِي مَعَ النَّقْدِ
أَنْتَ كَلَّمَا كَتَبْتُ قَصِيدَةً بِاللُّونِ الْأَسْوَدِ
قَالُوا إِنَّنِي تَقَلُّبْتُهَا عَنْ عَيْنَيْكَ..

.. ومشكلتي مع النساء
 أَنِّي كُلَّمَا نَفَيْتُ عِلَاقَتِي بِكَ
 سَمِعْتُ حَشْخَشَةً أَسَاوِرِكَ
 فِي دَبْدَبَاتِ صَوْتِي
 وَرَأَيْتُ قَمِيصَ تَوْمِكَ
 مُعَلَّقًا فِي خِرَانَةِ ذَاكِرَتِي.

لَا تُعَوِّدْنِي عَلَيْكَ..
 فَقَدْ نَصَحَنِي الطَّبِيبُ
 أَنْ لَا أَتَرَكَ شَفَتِي فِي شَفَتَيْكَ
 أَكْثَرَ مِنْ خَمْسِ دَقَائِقٍ
 وَأَنْ لَا أَجْلِسَ تَحْتَ شَمْسٍ تَهْدِيكَ
 أَكْثَرَ مِنْ دَقِيقَةٍ وَاحِدَةٍ
 حَتَّى لَا أَحْتَرِقَ..

إِنْ كُنْتَ تَعْرِفِينَ رَجُلًا..
 يُحِبُّكَ أَكْثَرَ مِنِّي
 فَذُلِّينِي عَلَيْهِ
 لِأَهْنَأَ..

وَأَقْبَلَهُ بَعْدَ ذَلِكَ..

في وصف قِطَّةٖ سِيَامِيَّةٖ

١

تخلُجُ فاطمَةُ جِذَاءَهَا..
وتتكوَّمُ،
كِقِطَّةٍ سِيَامِيَّةٍ فِي جَوْفِ رَاحَتِي
ترمي حَقِيبَتَهَا عَلَى مَقْعَدٍ..
وكيسَ مُشْتَرِيَاتِهَا عَلَى مَقْعَدٍ
وتدْخُلُ..
فِي أَوَّلِ شَرِيانٍ تَصَادِفُهُ..

٢

تخلُجُ فاطمَةُ أَسْمَاءَهَا..
وتَقَرَّرُ فِي شِجَاعَةٍ بَاهِرَةٍ
أَنْ تَكُونَ امْرَأَتِي..
تَنْزَعُ الْحَلَقَ مِنْ أُذُنَيْهَا
تَنْزَعُ الْأَسَاوِرَ مِنْ يَدَيْهَا
ترمي خَوَاتِمَهَا..
ودبَابيسَ شَعْرِهَا عَلَى الْأَرْضِ
وذاكرَتَهَا.. وَأَيَّامَهَا الْمُتَشَابِهَةَ عَلَى الْأَرْضِ

وَتَدْسُ كَشَجَرَةِ الْكَافِرِ..

تَحْتَ ثِيَابِي..

٣

تَصْعُ فَاطِمَةُ صُورَةً كَبِيرَةً لَهَا فِي غُرْفَةِ الْجُلُوسِ

تَخْتَارُ لَوْنَ سِتَائِرِي،

وَلَوْنَ دِفَائِرِي،

وَتَقْرَضُ عَلَيَّ دَوَقَهَا فِي الطَّعَامِ، وَفِي الْحَبِّ

وَتُعَمِّغُ مِنْ قَرَجِهَا..

كَقِطَةِ سِيَامِيَّةٍ..

٤

تَدْخُلُ فَاطِمَةُ عَلَيَّ..

مُلْتَفَةً بِزُوبَعَةٍ مِنْ شَعْرِهَا الْأَسْوَدِ..

تَصْعُ مَجَلَّاتِهَا النَّسَائِيَّةَ عَلَى مَكْتَبِي.

وَتُوبَ نَوْمِهَا فِي خَزَائِنِي..

وَمَلَاقِطَ شَعْرِهَا فِي جَوَارِيرِي..

تَضَعُ قُرْشَاءَ أَسْنَانِهَا،

قُرْبَ قُرْشَاءِ أَسْنَانِي،

فَأَدْرِكُ أَنَّهَا قَرَّرَتْ احْتِلَالِي..

٥

تضجُرُ فاطمةُ من شكلِ نهدِها
وتحاولُ رَسْمَهُما من جديدٍ..
وتضجُرُ من مكانِ سُرَّتِها الذي لا يتغيَّرُ
وتأْمُرُها أن تتحوَّلَ إلى عُصفورٍ..
لا شيءَ أروعَ من فاطمةَ
عندما تخرجُ من بيتِ الطاعةِ
وتسهلُ كمِهْرَةٍ..
تحت شمسِ الحرِّيَّةِ..

٦

تقوُذُ فاطمةُ انقلاَبًا تاريخيًّا على جَسَدِها..
وتستلم السُّلْطَةَ..
تضعُ وزراءَها في السجْنِ
ومُسْتَشاريها في السجْنِ
وقيسَ بنَ الملوِّحِ، وجميلَ بُنَيَّةَ
وجميعَ الشعراءِ العُذْرِيِّينَ في السجْنِ
وجميعَ الذين أَلْفُوا في قَنِّ الحُبِّ
ولم يلامسوا إصْبَعَ امرأةٍ..
وجميعَ الذين تحدَّثوا عن انتصاراتهم النسائيَّةِ
دون أن يصابُوا
بطَعْنَةٍ واحدةٍ..
أو بقُبْلَةٍ واحدةٍ..
أو بدَبْحَةٍ قلبيةٍ واحدةٍ..

وجميع الذين كتبوا عن جحيم الجنس
ولم يناموا مع ذبابة..
وتعلن فاطمة أمام الجماهير التي جاءت لمبايعتها
وفي لحظة صدقٍ لا يعرفها العرب
أنها حبيبتى..

٧

ترفض فاطمة جميع النصوص المشكوك بصحتها
وتبتدىء من أول السطر..
تمرّق جميع المخطوطات التي ألّفها الذكور
وتبتدىء من أبجدية أنوثتها..
ترمي جميع كتبها المدرسية،
وتقرأ في كتاب فمي..
تهاجر من مذن الغبار
وتتبعني حافية إلى مذن الماء..
تقفز من قطار الجاهلية
وتتكلم معي لغة البحر..
تكسر ساعتها الرملية..
وتأخذني معها إلى خارج الوقت..

٨

تعتقد فاطمة
- وفاطمة دائماً على حق - أن حركة التاريخ تبدأ من عينيها،

وَأَنَّ الْإِنْسَانَ الْأَوَّلَ،
عَمَّرَ مَغَارَتَهُ مَا بَيْنَ نَهْدَيْهَا..
وَأَنَّ اللُّغَةَ لَوْلَاهَا، لَا عَمَلَ لَهَا..
وَالْمَوْسِيقَى لَا صَوْتَ لَهَا..
وَالْأَلْوَانَ لَا لَوْنَ لَهَا..
وَأَنَّ الشَّجَرَ - إِذَا هِيَ رَفَعَتْ يَدَهَا عَنْهُ - سَيُقْفَلُ الْبَابُ عَلَى نَفْسِهِ،
وَيَنْتَحِرُ..

٩

تُعْجِبُنِي قَرَارَاتُ فَاطِمَةَ
عِنْدَمَا تَتَحَوَّلُ مِنْ حَجَرٍ مُسْتَدِيرٍ
إِلَى نَافُورَةٍ مَاءٍ فِي بَيْتٍ أُنْدُلُسِيٍّ
وَمِنْ قَصِيدَةٍ مَوْزُونَةٍ وَمُقَفَّاهٍ
إِلَى حَمَامَةٍ تَحْطُّ عَلَى كَتِفِي،
وَمِنْ جَارِيَةٍ فِي بِلَاطِ هَارُونَ السَّادِسِ عَشَرَ
إِلَى مَلِكَةٍ فِي بِلَاطِ الشَّجَرِ..

١٠

تَعْجِبُنِي حَمَاقَاتُ فَاطِمَةَ..
عِنْدَمَا تَتَجَاوَزُ الْإِشَارَاتِ الْحَمْرَاءُ
الَّتِي وَضَعَهَا التَّارِيخِيُّونَ حَوْلَ كَلَامِهَا،
وَحَوْلَ أَحْلَامِهَا..
وَتَذْبُحُهُمْ فِي خِيَمَتِهِمْ

واحدًا.. واحدًا..
وتعجبني مبالغتُ فاطمة
عندما تطرُدُ جميعَ حُرَّاسِها
وُتعيَّنِي حارسًا على نهدَيْها
بمرتَّبٍ قدرُهُ عَشْرَةُ آلَافٍ قُبْلَةٍ
في الليلة الواحدة..

١١

أحبُّ فاطمة
حين تشربُ قهوتَها الصباحيَّةَ،
وتشربُني..
وأحبُّها أكثرَ
حين تؤكِّدُ لي:
أنَّها سوفَ تحتلُّ العالمَ،
وتحتلُّني..

١٢

فاجأتُ فاطمة
وهي تصطادُ السمَكَ الأحمرَ
على شواطئِ دمي..

١٣

تعتقلني فاطمة تحت أهدائها
فلا أعرف متى ينتهي الليل
ومتى يبدأ النَّهَارُ..

١٤

على يَدَيَّ فاطمة
تعلَّمْتُ أن أكون كاتبًا جيّدًا
ومحاربًا جيّدًا
كما علَّمَنِي أن أُجِبُّها جيّدًا
وعلى يَدَيَّ فاطمة
تعلَّمْتُ أن الليبرالية هي امرأة..
وأنَّ الرجلَ - مهما تنقَّفَ - فهو رَجُلٌ مخابرات..

١٥

مَنْ لم يعرف فاطمة
لم يعرف ما هي أعظم أعمالِ الله..
ولم يعرف ما هو الشِّعْرُ..

١٦

تُحَطِّمُ فاطمة
جميعَ قوارير الطبِّ العربيِّ
وجميعَ مُعْتَقَلَاتِ الحُبِّ العربيِّ

وُخْرِجْنِي مِنْ ثَبَاتِ النَّصِّ الْعَرَبِيِّ
وَتَفْتَحْ لِي بَابَ الْإِجْتِهَادِ..

١٧

فَاطِمَةُ
هِيَ أَهْمُ امْرَأَةٍ بَيْنَ نِسَاءِ الْعَالَمِ..
وَأَنَا، أَهْمُ رَجُلٍ أَحَبَّهَا
وَحَمَلَ السِّلَاحَ مَعَهَا..

إِنَّهَا تُثْلِجُ نِسَاءً

١

إِنَّهَا تُثْلِجُ نِسَاءً..
أَتَرَعُ مَعُطَفَ الْمَطَرِ الَّذِي أَرْتَدِيهِ،
وَأُقْفِلُ مَظَلَّتِي،
وَأُتْرِكُهُنَّ يَتَساقَطْنَ عَلَى جَسَدِي
وَاحِدَةً.. وَاحِدَةً
ثَمَارًا مِنَ النَّارِ
وَعَصَافِيرَ مِنَ الدَّهَبِ.

٢

إِنَّهَا تُثْلِجُ نِسَاءً..
أَفْتَحُ جَمِيعَ أَزْرَارِ قَمِيصِي
وَأُتْرِكُهُنَّ يَتَرَحَّلْنَ عَلَى هَضَابِي
وَيَغْتَسِلْنَ بِمِيَاهِي
وَيَرْقُصْنَ فِي غَابَاتِي
وَيَنْمَنَ فِي آخِرِ اللَّيْلِ كَالطَّيُورِ فَوْقَ أَشْجَارِي..

٣

إِنَّهَا تُنَلِّجُ نِسَاءً..
أَخْرَجُ كَالطِّفْلِ إِلَى الْحَدِيقَةِ
وَأَتْرَكُهُنَّ يَكْرُجْنَ كَاللَّالِئِءِ عَلَى جَبِينِي
إِمْرَأَةً.. إِمْرَأَةً
وَلَوْلَوُةٌ.. لَوْلَوُةٌ..
أَحْمِلُهُنَّ كَالثَّلَجِ عَلَى رَاحَةِ يَدِي
وَأَخَافُ عَلَيْهِنَّ أَنْ يَذُبْنَ كَالثَّلَجِ بَيْنَ أَصَابِعِي
مِنْ حَرَارَةِ الْعَشَقِ..

ع

إِنَّهَا تُنَلِّجُ نِسَاءً..
تَخْرُجُ بِلَادُ الْعَرَبِ عَنْ بِكْرَةِ أَبِيهَا
الْبُوَادِي تَخْرُجُ.. وَالْحَوَاضِرُ تَخْرُجُ
الْأَغْنِيَاءُ يَخْرُجُونَ.. وَالْفُقَرَاءُ يَخْرُجُونَ
وَاحِدٌ يَحْمِلُ بَارُودَةَ صَيْدٍ
وَوَاحِدٌ يَحْمِلُ صَنَّارَةَ سَمَكٍ
وَوَاحِدٌ يَحْمِلُ قَفَصًا
وَوَاحِدٌ يَحْمِلُ بَطْحَةً عَرَقٍ
وَوَاحِدٌ يَحْمِلُ مَخَدَّةً وَسَرِيرًا..

و

إِنَّهَا تُنَلِّجُ نِسَاءً..
وَالْوَطَنُ كُلُّهُ مُسْتَنْقَرٌ لِلْهَجُومِ عَلَى اللَّوْنِ الْأَبْيَضِ

واحدُ يريد أن يُقْرِشَ الثلجَ تحت أسنانه..
وواحدُ يريد أن يتزوَّجَ الثلج..
وواحدُ يريد أن يأكلَهُ..
وواحدُ يريد أن يأخذه لبيت الطاعة..
وواحدُ يسحبُ دفترَ شيكاته من جيبه
ليشتري أيَّ نهدٍ أشَقَرَّ يسقطُ من السماءُ
كي يجعلهُ ديكورًا في حجرة نومِهِ..

٦

يَسْمَعُ الثلجُ قَرْعَ الطبولِ، وَخَشْخَشَةَ السلاسلِ
ويَرى بريقَ الخناجرِ، والتماغِ الأنيابِ
يخافُ الثلجُ على عذريَّتِهِ..
فيحزم حقيبتَهُ،
ويقرّرُ أن يسقطَ في بلادٍ أُخرى..

حزيران (يونيو) ١٩٨٣

٢٥ وردة في شعر بلقيس

١

كنتُ أعرفُ أنَّها سوف تُقْتَلُ..
وكانتُ تعرفُ أنَّني سوف أُقْتَلُ..
وقد تحقَّقت النبوءَتانُ..
سَقَطْتُ هيَ، كالقراشة، تحت أنقاض الجاهليَّةِ
وسقطتُ أنا.. بين أنياب عصرٍ عربيٍّ
يفترسُ القِصائدُ..
وعُيُونُ النساءِ..
ووردةُ الحرِّيَّةِ..

٢

كنتُ أعرفُ أنَّها سوف تُقْتَلُ..
وأنَّ أنوثتها لن تَشْفَعَ لها.
فالأنوثة في هذا الوطن الممتدِّ جغرافيًا
من البشاعةِ إلى البشاعةِ..
ومن القذيفةِ إلى القذيفةِ
ليستُ سببًا تخفيفيًا
يَحْمِي الحمائمَ من الدَّبْحِ..

ولا تُعطي امتيازًا للأمّهات
لكي يُكْمِلْنَ إرضاعَ أطفالهنَّ..

٣

كنتُ أعرفُ أنّها سوفَ تُقْتَلُ..
فقد كانتُ جميلةً في عصرٍ عربيٍّ قبيحٍ..
وكانتُ نقيّةً في عصرٍ عربيٍّ مُلَوّتٍ
وكانتُ نبيلةً في عصر الصعاليك..
وكانتُ لؤلؤةً نادرةً
بين أكّداس اللؤلؤ الصناعي
وكانتُ امرأةً مُتَفَرِّدةً..
بين أرتال النساءِ المُتَشابهاتِ..

٤

كنتُ أعرفُ أنّها سوفَ تُقْتَلُ..
ففيها تَجَسَّدَتْ حضارَةُ ما بين النَّهْرَيْنِ
ونحنُ مُتَخَلِّفُونَ..
هيَ مَقَامُ بغدادِيٍّ رائِعٍ..
ونحنُ لا نسمعُ..
هيَ قصيدةُ عَبَّاسِيَّةٍ..
ونحنُ لا نقرأُ..

هي فصلٌ من ملحمة (جَلْجَامِشْ) ونحْنُ أُمِّيُونَ..
هي أجملُ ما كُتِبَ من شِعْر..
ونحْنُ أَرْدأُ ما كُتِبَ من نثر..

٥

كنتُ أعرفُ أنَّها سوف تُقْتَلُ..
لأنَّ عَيْنَيْهَا كانتا صافيتينِ كنهرَيْنِ من الزُّمُرْد..
وشَعْرُهَا كان طويلاً كمَوَالِ بَغْدَادِي
فأعصابُ هذا الوطنِ،
لا تتحمَّلُ كثافةَ اللونِ الأخضرِ
ولا تتحمَّلُ رؤيةَ مليونِ شجرةِ نخيلٍ
تتجمَّعُ في عَيْنِي بلقيسُ..

٦

كنتُ أعرفُ أنَّها سوف تُقْتَلُ..
فكلُّنا - دونَ استثناءٍ - موضوعونَ على قائمةِ الطعامِ
في هذا الوطنِ الذي احترَفَ أَكَلَ مواطنيه..
والغريبُ.. أَنَّهُمْ يطالبوننا قبل أن يأكلُونَا..
أن نُغَنِّي النشيدَ الوطني!!
ونأخذَ التحيةَ العسكريةَ لرئيسِ المائدةِ
وللغارِشوناتِ الذين يُحيطونَ به..

أَيُّ نَشِيدٍ وَطَنِيٍّ؟ أَيُّ وَطَنٍ؟..
حين تكون جثَّةُ المواطن العربيِّ
مدفونةً في مكانٍ ما..
بين مِعدَّةِ الحاكم العربيِّ..
وبين مُصْرانِهِ الغليظِ..

٧

كنتُ أعرفُ أنَّها سوف تُقْتَلُ..
فقد كانت مساحةً كبريائِها
أكبرَ من مساحة شبه جزيرة العَرَبِ
وكانت حضارتُها لا تسمحُ لها
أن تعيشَ في عصر الإنحطاطِ..
وكان تركيُّها الضوئيُّ..
لا يسمح لها أن تعيشَ في العُتْمَةِ..

٨

كانت تعتقدُ من شدَّةِ عُنفوانِها
أنَّ الكرةَ الأرضيَّةَ صغيرةٌ عليها..
ولهذا حَرَمَتْ حقائبَها،
وانسَحَبَتْ على أطراف أصابعها،
دون أن تُخْبِرَ أَحَدًا..

٩

لم تَكُنْ خائفةً أن يقتلها الوطنُ
ولكنّها كانت خائفةً على الوطنِ
أن يقتلَ نَفْسَهُ..

١٠

كسحابةٍ حُبَلَى بالشعرِ..
تَقَطَّتْ فوق دفاتري
نبيدًا.. وَعَسَلًا.. وعصافير..
وياقوتًا أحمر..
ونَقَطَتْ فوق مشاعري
قُلُوعًا.. وطُيُورًا بحريّةً
وأقمارَ ياسمينٍ.
بعد رحيلها،
بدأتْ عَصُورُ العَطَشِ
وانتهى رَمَنُ الماءِ..

١١

كان حُبُّها العراقيّ
لَهُ طَعْمُ الوردِ.. وطَعْمُ الجَمْرِ..

وكان إذا فاضَ في موسم الربيعِ
كسّر جميعَ السُّدُودِ..
وكسّرني عشرينَ ألفَ قطعَه..

١٢

أسّستُ معها في ٥ آذار ١٩٦٢
أوّلَ مدرسةٍ للعشق في بغدادِ
وعندما سقطتُ بلقيس في ١٥ كانون الأول ١٩٨١
إستقالَ المعلّمون والمعلّماّتُ
وهربَ التلاميذُ
وتأجّلتُ دراسةُ الحبِّ..
إلى أَجَلٍ غيرِ مُسمّى..

١٣

قبلَ أن يتركّني شعْرُها الدّهبيّ
ويُساوِرَ..
لم أَكُنْ أعرفُ أبدًا
أنّ من بعضِ هواياتِ العصافير..
تجميعَ سبائكِ الدّهَبِ..

١٤

بعد رحيل بلقيس
لَنْ يَكْبُرَ الشَّجَرُ
وَلَنْ يَسْتَدِيرَ الْقَمَرُ
وَلَنْ يَشْتَعِلَ الْمَاءُ..

١٥

لأنَّ الشعبَ العربيَّ
كان يتمنَّى أن يكون حُرًّا كشَّعِرِ بلقيس
وغير مُعْتَقَلٍ بالدبابيس
والزنزاناتِ.. والأسلاكِ الشائكةِ..
كشَّعِرِ بلقيس..
فقد أَمَرَ السلطانُ - تَصَرُّهُ اللهُ على أعدائِهِ - - وزادَ من عددِ مَحْظِيَّاتِهِ ونَسَائِهِ
- بإشعال النار في حقول الحنطة..
وقَطَعَ رأسَ كُلِّ سنبلةٍ تتكلَّمُ مع سنبلةٍ أخرى
والتخلَّصِ من شَعِرِ بلقيسِ الجامحِ
كحصانٍ أَشَقَرَ..
لأنَّهُ يُعَلِّمُ النَّاسَ الطُّمُوحَ
ويحرِّضُهُمْ على الحرِّيَّةِ

كنتُ دائماً أُحِسُّ أَنَّهَا ذَاهِبَةٌ..
 وكان في عَيْنَيْهَا دائماً
 قَلَوُغٌ تَسْتَعِدُّ لِلرَّحِيلِ..
 وطَيَّاراتٌ جاثمةٌ على أهدابِها
 تستعدُّ للإقلاع..
 وفي حقيبة يدها – منذُ تزوّجْتُها – كان هناك جوازُ سفرٍ.. وتذكُّرُ طيرانٍ
 وتأشيراتُ دخولٍ إلى بلادٍ لم تُزَرَّها..
 وعندما كنتُ أسأَلُها:
 ولماذا تضعينَ كلَّ هذه الأوراقِ في حقيبة يدكِ؟
 كانت تُجيبُ:
 لأنني على موعدٍ مع قَوْسٍ قُرْخٍ..

بعدما سَلَّمُونِي حَقِيبةَ يدها..
 التي عثروا عليها تحت الأنقاضِ
 ورأيتُ جوازَ السَّفَرِ..
 وتذكُّرَ الطائِرةِ..
 وتأشيراتِ الدُّخُولِ..
 عرفتُ أنني لم أتزوّجَ بلقيسَ الراوي
 وإنما تزوّجتُ قَوْسَ قُرْخٍ..

١٨

في الحَفَلات العامَّة..
كانتُ تتحاشى أن تقفَ معي..
أو تتصوَّرَ معي..
أو تقولَ للناس: إنَّها زوجةُ الشاعر..
أنا الذي كنتُ أبحثُ عنها هنا.. وهناك..
وأطلبُ من المصوِّرين أن يُصوِّروني معها..
حتَّى أدخلَ التاريخَ..

١٩

عندما كانتُ تحضرُ أمسيَّاتي الشعريَّة
كانتُ هي التي تسرقُ الأضواءَ
وأنا الذي أبقى في الظل..
لم تَكُنْ تطلبُ رضىَ الشعْر..
كان الشعْرُ هو الذي يطلبُ رضاها..

٢٠

عندما تموثُ امرأةٌ جميله..
تفقدُ الكُرَّةَ الأرضيَّةَ توازنها
ويعلُنُ القمرُ الحدادَ لمئة عامٍ

ويصبح الشَّعْرُ عاطلاً عن العَمَلِ..

٢١

لم تَكُنْ تعترفُ بأوساط الخُلُولِ
حُضورها كان استثنائياً..
وحديثها كان استثنائياً..
وشَّعرها الذي كان يسافر في كلِّ الدنيا..
كان حادثاً استثنائياً..
لذلك..
كان موثها استثنائياً مثلها..

٢٢

تَرَوِّجُنِي.. رَغَمَ أَنْفِ الْقَبِيلَةِ
وسافرتُ معي..
رَغَمَ أَنْفِ الْقَبِيلَةِ..
وأعطتني زينبَ وعُمَرَ..
رَغَمَ أَنْفِ الْقَبِيلَةِ..
وعندما كنتُ أسألها: لماذا؟
كانت تأخُذُني كالطفل إلى صدرها
وتُتمِّمُ:
"لأنَّكَ قبيلتي.."

٢٣

كانت خُرافيَّة الألوان.. كَفَرَاشَه
ورشيقة الطيران.. كَفَرَاشَه..
وقصيرة العُمر.. كَفَرَاشَه..
وعندما أحرقوها في يوم ١٥ ديسمبر ١٩٨١
قالت إحصاءات الأمم المتَّحدة
إنَّنا القبيلة الوحيدة في العالم
التي تأكلُ القَرَّاشَ..

٢٤

بلقيسُ الراوي
بلقيسُ الراوي
بلقيسُ الراوي
كنتُ أُحِبُّ إيقاعَ اسْمِها..
وأتمسَّكُ برنينه..
وكنتُ أخافُ أن أُلصِقَ به كُتَيْتِي
حتَّى لا أُعكِّرَ ماءَ البحيرة..
وأشوِّهَ روعةَ السمفونيَّةِ..

ما كان لهذه المرأة أن تعيش أكثر..
ولا كانت تتمنى أن تعيش أكثر
فهي من فصيلة الشموع والقناديل
وهي كاللحظة الشعرية
لا بدّ لها أن تنفجر قبل آخر السطر..

بيروت ١٠ نيسان (أبريل) ١٩٨٢

الْحُبُّ لَا يَقِفُ عَلَى الضَّوِّ الْأَحْمَرِ

١

لَا تُفَكِّرْ أَبَدًا.. فالضوءُ أحمرٌ..

لَا تُكَلِّمْ أَحَدًا.. فالضوءُ أحمرٌ

لَا تُجَادِلْ فِي نصوصِ الفقهِ..

أَوْ فِي التَّحْوِ..

أَوْ فِي الصَّرْفِ..

أَوْ فِي الشَّعْرِ..

أَوْ فِي التَّشْرِ..

إِنَّ الْعَقْلَ مَلْعُونٌ، وَمَكْرُوهٌ، وَمُنْكَرٌ..

٢

لَا تُغَادِرْ..

قُنْتُكَ الْمَخْتُومَ بِالشَّمْعِ.. فَإِنَّ الضَّوِّ الْأَحْمَرُ

لَا تُحِبُّ امْرَأَةً.. أَوْ قَارَةً..

إِنَّ ضَوْءَ الْحُبِّ أَحْمَرٌ..

لَا تُصَاجِعْ حَائِطًا.. أَوْ حَجَرًا.. أَوْ مَقْعَدًا..

إِنَّ ضَوْءَ الْجِنْسِ أَحْمَرٌ..

إِبْقَ سِرِّيًّا..

ولا تكشِفْ قَرَارَاتِكَ حَتَّى لَدُبَابَةٍ..
إِبْقِ أُمِّيًّا..

ولا تدخُلْ شريكًا في الزنى أو في الكتّابَةِ..
فالزنى في عصرنا..
أهونُ من جُرمِ الكتّابَةِ..

٣

لا تُفكِّرْ بعصافير الوطنِ..
وبأشجارِ.. وأنهارِ.. وأخبارِ الوطنِ
لا تُفكِّرْ بالذين اغتصبُوا شمسَ الوطنِ..
إِنَّ سيفَ القَمْعِ يأتِيكَ صباحًا
في عناوينِ الجريدةِ..
وتفَاعيلِ القصيدةِ..
وبقايا قَهْوَتِكَ
لا تَنَمْ بين ذَرَاعِي زوجَتِكَ..
إِنَّ رُؤُوسَكَ عندَ الفجرِ موجودونَ تحتَ الكَتَبَةِ..

٤

لا تُطالِعْ كُتُبًا في النقدِ أو في الفلسفةِ
إِنَّ رُؤُوسَكَ عندَ الفجرِ..
مزروعُونَ مثلَ السُّوسِ في كلِّ رفوفِ المكتبةِ..
إِبْقِ في برميلِكَ المملوءِ تَمَلًّا.. وبَعُوضًا.. وقِمَامَةً..
إِبْقِ مِنْ رَجُلَيْكَ مشنوقًا إلى يومِ القيامةِ..

إِنِّقَ مِن صَوْتِكَ مَشْنُوقًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ..
إِنِّقَ مِن عَقْلِكَ.. مَشْنُوقًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ..
إِنِّقَ فِي الْبَرْمِيلِ.. حَتَّى لَا تَرَى
وَجْهَ هَذِي الْأُمَّةِ الْمُعْتَصِبَةِ..

٥

أَنْتَ لَوْ حَاوَلْتَ أَنْ تَذْهَبَ لِلسُّلْطَانِ..
أَوْ زَوْجَتِهِ..
أَوْ صِهْرِهِ..
أَوْ كَلِيهِ الْمَسْئُولِ عَنْ أَمْنِ الْبِلَادِ..
وَالَّذِي يَأْكُلُ أَسْمَاكَ.. وَثِقَاحًا.. وَأَطْفَالًا..
كَمَا يَأْكُلُ مِن لَحْمِ الْعِبَادِ..
لَوَجَدْتَ الضَّوْءَ أَحْمَرَ..

٦

أَنْتَ لَوْ حَاوَلْتَ أَنْ تَقْرَأَ يَوْمًا
نَشْرَةَ الطُّقْسِ.. وَأَسْمَاءَ الْوَفِيَّاتِ.. وَأَخْبَارَ الْجَرَائِمِ..
لَوَجَدْتَ الضَّوْءَ أَحْمَرَ..
أَنْتَ لَوْ حَاوَلْتَ أَنْ تَسْأَلَ عَنْ سَعْرِ دَوَاءِ الرَّبْوِ..
أَوْ أَحْذِيَةِ الْأَطْفَالِ..
أَوْ سَعْرِ الطَّمَاظِمِ..
لَوَجَدْتَ الضَّوْءَ أَحْمَرَ..
أَنْتَ لَوْ حَاوَلْتَ أَنْ تَقْرَأَ يَوْمًا

صفحة الأبراج..
كي تعرف ما حَطُّكَ قَبْلَ النَّقْطِ..
أو حَطُّكَ بَعْدَ النَّقْطِ..
أو تعرف ما رَقُمُكَ ما بين طوابير البهائم..
لوجدت الضوءَ أحمرَ..

٧

أنت لو حاولت..
أن تبحث عن بيتٍ من الكرثون ياويك..
أو سيِّدةٍ - من بقايا الحرب - ترضى أن تُسَلِّكَ..
وعن نهدينٍ معطوبين..
أو ثلاجةٍ مُستعمَلة..
لوجدت الضوءَ أحمرَ..
أنت لو حاولت..
أن تسألَ أستاذك في الصفِّ.. لماذا؟
يتسلَّى عربُ اليوم بأخبار الهزائم؟
ولماذا عربُ اليوم رُجَّاجٌ فوقَ بعضٍ يتكسَّر؟
لوجدت الضوءَ أحمرَ..

٨

لا تُسَافِرْ بجوازٍ عربيٍّ..
لا تسافرْ مرَّةً أخرى لأوروبَّا
فأوروبَّا - كما تعلمُ - ضاقتُ بجميع السُّفهاءِ..

أَيُّهَا الْمُنْبُوذُ..
وَالْمَشْبُوهُ..
وَالْمَطْرُودُ مِنْ كُلِّ الْخَرَائِطِ
أَيُّهَا الدِّيكُ الطَّعِينُ الْكَبِيرَاءُ..
أَيُّهَا الْمَقْتُولُ مِنْ غَيْرِ قِتَالٍ..
أَيُّهَا الْمَذْبُوحُ مِنْ غَيْرِ دِمَاءٍ..
لَا تُسَافِرْ لِبِلَادِ اللَّهِ..
إِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى لِقَاءَ الْجَبَنَاءِ..

٩

لَا تُسَافِرْ بِجَوَازِ عَرَبِيٍّ..
وَاتْتَظِرْ كَالْجُرْدِ فِي كُلِّ الْمَطَارَاتِ،
فَإِنَّ الضَّوْءَ أَحْمَرَ..
لَا تَقُلْ بِاللُّغَةِ الْفُصْحَى..
أَنَا مَرَوَانُ..
أَوْ عَدْنَانُ..
أَوْ سَحْبَانُ
لِلْبَائِعَةِ الشَّقْرَاءِ فِي (هَارُودَر) إِنَّ الْإِسْمَ لَا يَعْنِي لَهَا شَيْئًا..
وَتَارِيخُكَ - يَا مَوْلَايَ - تَارِيخُ مُرَّورٍ..

١٠

لَا تُفَاجِرْ بِبَطُولَاتِكَ فِي (الليدو) فسوزانُ..
وَجَانِينُ..

وكوليثُ..
وآلافُ القَرُسيَّاتِ.. لم يقرأَنَّ يومًا
قصَّةَ الزيرِ وعنترَ..
يا صديقي:
أنتَ تبدو مُضحكًا في ليلِ باريسَ..
قَعْدُ فورًا إلى الفندقِ..
إنَّ الضوءَ أحمرُ..

١١

لا تُسافرُ..
بجوازِ عربيٍّ بينَ أحياءِ العَرَبِ!!
فَهُمْ من أجلِ قرشٍ يقتُلونَكَ..
وَهُمْ - حينَ يَجُوعُونَ مساءً - يأْكُلونَكَ
لا تَكُنْ ضيقًا على حاتمِ طيٍّ
فهو كذابٌ..
ونصابٌ..
فلا تَحْدَعْكَ آلافُ الجواري..
وصناديقُ الذهبِ..

١٢

يا صديقي:
لا تَسِرْ وَحْدَكَ ليلًا

بين أنيابِ العَرَبِ..
أنتَ في بيتكَ محدودُ الإقامة..
أنتَ في قومكَ مجهولُ النَّسَبِ..
يا صديقي:
رَحِمَ اللَّهُ العَرَبَ!!